

مجلة ثقافية رقمية فصلية تُعنى باللغة العربية

السنة الثانية ▪ العدد الخامس (شعبان ١٤٣٦هـ - يونيو ٢٠١٥م)

في ظلال أعاريب
نلتقي من جديد

منزع قصصي
في قصائد قديمة (١)
د. صلاح حفني

المقامة
البوفيهية
بيرم التونسي

البلاغة..
جولة في مملكة المفهوم
د. فريد أمعضشو

نقد الاستشراق
بين شاكر وإدوارد سعيد (١)
شريف حتيتة



مجلة ثقافية رقمية فصلية

تُعنى باللغة العربية

تصدرها مؤسسة





رؤيتنا



أن تكون أعاريب صديقًا لأبناء العربية ودارسيها، يأخذ بأيديهم إلى حُبِّها، والحرص عليها، والوعي بقيمتها وبقضاياها، والعناية بها تعلُّمًا وأداءً.

رسالتنا



الحفاظ على اللغة العربية بما تُمثِّله من قيمة حضارية وإنسانية، ونشر الوعي بها على المستويات كافَّة، ومن ثَمَّ احترامها في الأوساط العلمية والثقافية والاجتماعية، بما يُمكِّن لترسيخ الهُوِيَّة العربية الإسلامية.

أبواب المجلة

- بلسانٍ عربيٍّ مبين.
- أفصح العرب ﷺ.
- نجوم في سماء العربية (رجال وكتب).
- العربية في حياتنا.
- قضايا لغوية ونحوية.
- قضايا بلاغية ونقدية.
- قضايا أدبية.
- قراءات نقدية.
- لقاءات وحوارات.
- آثارٌ قيِّمة.
- مستشارك اللغوي.
- متابعات وعُروض.
- إبداعات.
- واحة أعاريب.

ثورة اللغة: ٣٧ ش الإخشيد - منيل الروضة - القاهرة

www.aareeb.com   majallataareeb@gmail.com

/MagAareeb

ضوابط النشـــر

١- تقبل المجلة المقالات التي تتعلَّق باللغة العربية والأعمال الإبداعية المكتوبة بالفصحى.

٢- لا يزيد المقال عن ١٥٠٠ كلمة.

٣- يُشترَط في المادَّة المُقدَّمة أن تكون أصيلةً لكاتبها؛ ليست منقولةً كلها أو معظمها عن غيره، مع توثيق ما يرد فيها من نُقُول، وألاَّ تكون منشورةً من قبل بأيَّة وسيلة من وسائل النشر الورقي أو الإلكتروني، والمَجلَّة غير مسؤولة عمَّا يخالف ذلك.

٤- يُرجَى ممَّن يشارك للمرَّة الأولى إرسال مادَّته مصحوبة بالتعريف به تعريفًا مختصرًا.

٥- الموادُّ المنشورة تُعبِّر عن آراء كُتَّابها، ولا تُعبِّر عن رأي المجلة.

٦- تُرسَل جميع المشاركات في ملف *word*
على بريد المجلة الإلكتروني:
majallataareeb@gmail.com



محتوى العدد

في ظلال أعاريب ..نلتقي من جديد

تعود إليكم مجلة «أعاريب» -بعد توقف دام عامًا كاملاً- لتواصل عطاءها للعربية وأهلها، وتفاديًا لانقطاع مجدد رأينا أن تصدر أعاريب فصليًّا مؤقتًا حتى تعود مجلة شهرية كما بدأت.

وقد حرصنا على أن نفتح قنوات متعددة للتواصل الإلكتروني الذي أصبح سمة الحياة المعاصرة حتى نكون أقرب إلى قرائنا الأعزاء، وأكثر تفاعلاً، فأنشأنا -إلى جانب صفحة أعاريب على موقع التواصل الاجتماعي «فيس بوك» - صفحات على «تويتر»، و«جوجل بلس»، و«يوتيوب»، و«ساوند كلاود». وفي خُطَّتنا أن نُقدِّم -إن شاء الله تعالى- مقالات مختارة من أعاريب مُسجَّلة صوتيًّا؛ حتى يتسنَّى لمن شاء سماعها في أي وقت، ونحن بذلك نحاول أن نُقرِّب الثمرات، ونعين المتلقي المعاصر على تحقيق الفائدة والمتعة من أيسر سبيل.

إنَّ اللغة العربية ينبغي أن تتبوَّأ المكانة اللائقة بها في نفوس أبنائها، احترامًا وتقديرًا، وحرصًا على الأداء الصحيح، واعترافًا بضرورتها للأمة، وخطورة التهاون بشأنها، وفي سبيل ذلك كله كانت «أعاريب» خطوة لتقريب العربية إلى كل عربي، ودعوة لغير المتخصصين أن يلتفتوا إلى معارف لغتهم وآدابهم، بما لا يستهلك من أوقاتهم إلا اليسير، ولا يعسر عليهم فهمه واستيعابه. ونسأل الله تعالى أن يعيننا على أداء هذه الرسالة، حتى تعود العربية من جديد حية في القلوب وعلى الألسنة.

لقد خرج علينا في هذا العصر بعض الأدعياء يزعمون أنَّ فهم القرآن الكريم لا يتوقف على العلم بالعربية، وهو زعم سقيم لا يثبت للنظر حتى عند العامَّة، فإنَّك لو أتيت بنص من اللغة الصينية مثلاً وطلبت ممَّن لا يعرف هذه اللغة أن يفهمه، ويُفسِّر ألفاظه، ويستخرج معانيَه، فسينظر إليك نظرة حنق وإشفاق، ويتركك بلا جواب؛ لأنَّك إمَّا تسخر منه، أو من نفسك!!

فكيف يُراد للقرآن أن يُفهَم من غير معرفة باللغة التي نزل بها؟! وهل يكفي أن نقلب صفحات الكتاب الكريم لنتتبَّع لفظًا من ألفاظه ثم نخترع له معنًى نزعم أنَّه المراد في القرآن من غير منهج منضبط، ولا نظر صحيح؟

ألا يعلم هؤلاء أنَّ ذلك الصنيعَ من التقوُّل على الله تعالى بغير علم؟!!

وبعضهم يأتي بفروق بين مدلولات الألفاظ بناءً على أن اللغة لا ترادف فيها، وما عرف المسكين أنَّ نفي الترادُف ينصبُّ على المفهوم (= المعنى الموجود في الذهن) لا الماصدق (= الشيء الذي يصدق عليه اللفظ)، فكلمة (أب) -مثلاً- مفهومها غير مفهوم كلمة (مُدرِّس) فلا ترادُف بينهما، ولا يمنع ذلك من صحَّة إطلاق الكلمتين على شخص واحد، فهو أب من حيث إنَّ له أبناءً، ومُدرِّس من حيث إنَّه يعمل في مهنة التدريس، وما درى أنَّ ما يقوله لا علاقة له بالعلم من قريب أو بعيد، وبين العلم والجهل خيط دقيق لا يراه الغافلون.

ولأنَّ معظمنا لا يجد وقتًا للدراسة والبحث في علوم العربية، تُقدِّم لنا «أعاريب» معارف مُتنوِّعة ومُتكامِلة على طبق من ذهب، يستطيع أن يأخذ منها القارئ ما شاء ويدع، لكنَّنا على ثقة أنَّه مع الوقت ستتَّسع معارفه ويتقدَّم خطوات في فهم اللسان العربي، وتذوُّق الشعر، وغيره من فنون القول.

والله تعالى من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

رئيس التحرير





من تصوير القرآن

لإعراض الكفّار عن نداء الحقّ

د. وليد مقبل الديب

أكاديمي مصري

يقول الله -تعالى-: ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ (النمل: ٧٩ - ٨١).

هذه الآيات تُثير مجموعة من التساؤلات، وقد اجتهد مفسرونا في الإجابة عنها، وهذه التساؤلات هي:

السؤال الأول: إذا كان الرسول -صلى الله عليه وسلم- على الحق المبين، فلماذا أعرض عنه أهل الشرك؟

والجواب: لأنهم بالنسبة لدعوة الحق موتى، وصُمٌّ، وعُمي؛ فقوله - تعالى- ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ﴾ بمنزلة:

١- جواب للسؤال عن عدم إيمانهم مع كون الرسول -صلى الله عليه وسلم- على الحق المبين.

٢- تسلية للرسول -صلى الله عليه وسلم-، وعذر له عن عدم إيمانهم، فهؤلاء الكفار لا يستحقون أن يؤسف عليهم؛ لأنهم اختاروا ذلك لأنفسهم، ولأنه لم يترك من تحذيرهم ما لو ألقاه إليهم لأقلعوا عما هم فيه، فلم يبقَ ما يُوجب أسفه عليهم، فكأن الله -تعالى- ينهى رسوله -صلى الله عليه وسلم- من أن يحزن عليهم إن لم يؤمنوا، كقوله - تعالى - : ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾ (الشعراء: ٣).

السؤال الثاني: لمَ شبَّههم بالموتى؟ ولمَ شبَّههم بالصُمِّ؟

والجواب: شبَّههم بالموتى على طريقة الاستعارة في انتفاء فهمهم معاني القرآن.

فمن آثار القرآن: أنه يشتمل على معانٍ مقبولة لدى أهل العقول السليمة، وهي المعاني التي يدركها ويُسلِّم لها من تَبلُغ إليه، ولو بطريق الترجمة؛ بحيث يستوي في إدراكها العربي والعجمي، وهذا أثر عقلي، والموتى لا يبلغهم هذا الأثر.

وشبَّههم بالصم؛ لانتفاء أثر بلاغة ألفاظ القرآن عن نفوسهم.

من تصوير القرآن لعدم استجابة الكفار لنداء الحق

ومن آثار القرآن: دلالة نظمه وبلاغته على أنه خارج عن مقدرة البلغاء العرب، وهذا أثر لفظي، وهو دليل الإعجاز، وهذا الأثر خاص بالعرب في المقام الأول، ويشمل غيرهم من الأعاجم إذا كانوا من أهل النظر والتأمل، فإذا تدبروا في عجز البلغاء من أهل اللسان الذي جاء به القرآن عن معارضته تيقنوا أنه فوق مقدرتهم، فالمشركون شُبِّهوا بالموتى بالنظر إلى الأثر الأول، وشُبِّهوا بالصُّمِّ بالنظر إلى الأثر الثاني.

السؤال الثالث: لماذا كرَّر (تُسمِعُ) في قوله -تعالى- : ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ﴾، ولم يقل مثلا: (إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ المْوْتَى وَلاَ الصُّمَّ)؟

والجواب: لتأكيد عدم استجابتهم لدعوة الحق.

السؤال الرابع: من شأن الأصم أنه لا يسمع، فلمَ قيَّده بقوله: ﴿إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ﴾؟

والجواب: لأن اجتماع الصمم والإدبار آكَدُ في عدم السماع؛ فالأصم إذا كان مواجها للمتكلم قد يسمع بعض الكلام بالصراخ مثلا، أو يستفيد من الإشارات باليدين والوجه، فجعله أبعد ما يكون عن أي وسيلة قد تسمعه.

السؤال الخامس: التولِّي هو الإدبار، فلِمَ عبَّـرت الآية بالتولِّي والإدبار، ولمْ تُعبرِّ بأحدهما؟

والجواب: (مدبرين) حالٌ مؤكِّدة لعاملها، جاءت لتأكيد إعراضهم عن الحق، وفرارهم منه.

السؤال السادس: لماذا تكرَّر تشبيه إعراضهم بالعُمي في قوله -تعالى- ﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ﴾ بعد أن شبَّههم بالموتى وبالصُّمِّ؟

والجواب: تكرَّر تشبيه المشركين في إعراضهم عن الحق بأن شُبِّهوا في ذلك بالعُمي بعد أن شُبِّهوا بالموتى وبالصُّمِّ على طريقة الاستعارة؛ إطنابا في تشنيع حالهم، بأنهم لن يستجيبوا للدعوة إلى الحق لشناعة ما هم عليه من ضلال يشبه الموت والصمم والعمى.

ومن آثار القرآن: أنه مرشد إلى طريق الهدى، فشُبِّهوا بالعمي في انتفاء التمييز بين طريق الهدى وطريق الضلال من حيث إنهم لم يتبعوا هدى الإسلام.

السؤال السابع: لماذا عدل في جملة ﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ﴾ عن نفي الفعل كما في الجملتين الأوليين ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ﴾ إلى نفي الجملة الاسمية؟

أي لماذا لم يقل: (إنك لا تهدي العمي عن ضلالتهم) كما قال: ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ ﴾؟

والجواب: نفي الجملة الاسمية يدل على ثبوت النفي ودوامه، وقد أكد ذلك الثبوت بالباء المزيدة لتأكيد النفي في (بهادي)؛ وهذا لأن الجملة الأخيرة تنفي اهتداءهم الذي هو مطمح الرسول -صلى الله عليه وسلم- ؛ ليؤكد له الله -تعالى- عدم جدوى حسرته على عدم إيمانهم، كما قال -عزَّ وجلَّ-: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ﴾، وليثبت له مضمون قوله - تعالى -: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾.

وقد أجاد الشاعر حين قال:

لَقَدْ أسمَعْتَ لَوْ نَادَيْتَ حَيًّا ... وَلَكِنْ لاَ حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِي

وَلَوْ نَارٌ نَفَخْتَ بِهَا أضَاءَتْ ... وَلَكِنْ أنْتَ تَنْفُخُ فِي رَمَادِ

رحم الله ابن كثير وابن عاشور وجميع مفسري القرآن الكريم!

بلاغة التعبير النبوي عن حُسْن الخُلُق

د. إبراهيم سعيد السيد

أكاديمي مصري

الحَمْدُ للهِ الذِي خَلَقَ الإنسانَ بقدْرَتِهِ وترْتِيبِه، ودَلَّهُ على مَنْفَعَتِهِ وتَأْدِيبِهِ وتَهْذِيبِهِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على صاحِبِ الخُلُق الأَفْضَل، والأَدَبِ الأَكْمَل، الذي زَكَّاهُ ربُّهُ في الذِكْر الحَكِيم، وعَظَّمَ مَقامَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾، أمَّا بَعْدُ،

فالإسْلامُ عَقِيدةٌ وعِبادَاتٌ ومُعَامَلَة، جاءَ للنَّاس بِمَا تُقَوَّى بِهِ الصِّلَة، وهَيَّأَ لهُمْ مِنْ أطَايبِ الأَحْكَامِ مَا تَسْمُو بهِ الرُّوح، وتَتَهَذَّبُ بِهَا النَّفْسُ الجَمُوح، حَتَّى إِذَا لانَ مِنَ الإنْسَان جَانِبُه، وصفَا قَلْبُهُ واسْتَقَامَ قَالَبُه، نَشِطَ لِمَا كُلِّفَ بِهِ وأُمِر ، وخَشَعَ لِمَا تَلَقَّاهُ مِن الوَحْي واعْتَبَرَ. وبِحُسْنِ الخُلُق يَكْمُلُ الدِّينُ، ويَرْتَفِعُ الإِنْسَانُ فِي عِلِّيِّين، ويَبْلُغُ شَأْوَ الكَامِلِين، فَعَنِ الرَّبِيعَ بْنَ سُلَيْمَانَ قال: سمِعْتُ الشَّافِعِيَّ -رضِيَ اللّٰهُ عَنْه- يَقُولُ: «المُرُوءَةُ أَرْبَعَةُ أَرْكَانٍ: حُسْنُ الخُلُق، وَالسَّخَاءُ، وَالتَّوَاضعُ، وَالنُّسُكُ»[١].

وقَدْ نُقِلَ مثلُهُ عَنْ عُمَرَ بن الخَطَّابِ -رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ- إِذْ يَقُول: «حَسَبُ المــَرْءِ دِينُهُ، ومُرُوءَتُه خُلُقُه، وأَصْلُهُ عَقْلُه»[٢].

ومِنْ ثَمَّ، شَرَعْتُ فِي انْتِقَاءِ الأَحَادِيثِ التِي تُبْنَى بِهَا النَّفْسُ عَلَى أُسُسِ العُلا والمَكَارِم، واصْطَفَيْتُ مِنَ الأَدَبِ المُفْرَدِ وغَيْرِهِ نُصُوصًا تَنْفِي عَنِ المجْتَمَعِ المكَارِهَ والمغَارِم، وإِذَا كانَ الجِهَادُ فِي الإسْلامِ على نَوْعَيْنِ، جهادِ الفَتْحِ وردِّ الأَعْدَاءِ، وجِهَادِ النَّفْسِ ومُقَاتَلَةِ الأَهْوَاءِ، وكِلاهُمَا دَاخِلٌ -إِنْ شَاءَ اللّٰهُ- تحْتَ وَصْفِ النَّبي لَهُ بِأَنَّهُ «ذُرْوَةُ سَنَامِ الإِسْلامِ»، فَلا أَقَلَّ مِنْ أَن نحُاولَ العَمَلَ فِي أَحدِهِمَا إِذَا حُجِبَ عَنَّا الثَانِي، وبِنَاءُ النَّفْسِ عَلَى مَكَارِمِ الأَخْلاقِ غَايَةٌ مَنْشُودة، وسُنَّةٌ محْمُودة، وفِي كلِّ هَذَا لا نخَالِفُ الطَّرِيقَةَ التِي ارْتَضَيْنَاهَا لـ «أَعَاريب» الميْمُونَة، بِأَنْ نجْعَلَ الحديثَ عن الفَصَاحَةِ والبَلاغَةِ هُوَ شِرْعَتَنَا، ومحْفُوفًا بفَوَائِدَ شَتَّى مِنْ كَلامِ أَئِمَّتِنَا. وقَبْلَ البَدْءِ فِي تِلْكَ الشَّمَائِلِ والخِصَال، نجْعَلُ مَقَالَنَا هَذَا مخْصُوصًا بالحَدِيثِ عن النُّصُوصِ الدَّالَةِ عَلَى أَصْلِ المجَال، فَنَقُولُ وبِاللّٰهِ التَّوْفِيقُ:

(١) السنن الكبرى للبيهقي ، وفي ذيله: الجوهر النقي لابن التركماني، ط/مجلس دائرة المعارف النظامية- حيدر آباد، الطبعة الأولى ١٣٤٤ هــ، ١٠/١٩٥، برقم ٢١٣٣٣.

(٢) السابق، برقم ٢١٣٣٢.





رَوَى البُخَارِيُّ فِي الأَدَبِ المُـفْرَدِ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- قَالَ: «مَا مِنْ شَيءٍ فِي المِيزانِ أَثْقَلُ مِن حُسْنَ الخُلُق»[1]، وقَالَ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ-: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَرِيمٌ يُحِبُّ مَعَالِيَ الأَخْلَاقِ وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا»[2]، وقال - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ-:«إنمَّا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ»[3]، وقال-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ-: «إِنَّ المُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِخُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ القَائِمِ»[4]، وقال-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ-: «أَلا أُخبِرُكُمْ بِأَحَبِّكُم إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ -ثَلاثَ مَرَّاتٍ يَقُولُهَا-، قُلْنَا: بَلَى يا رَسُولَ الله، قَالَ: أَحْسَنُكُمْ أَخْلاقًا»[5]، وقَالَ -صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم: «أَكْمَلُ المُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»[6].

وليْسَ بُلُوغُ تِلكَ المَنْزِلَةِ بالشَّيْءِ الهَيِّنِ، فإِنَّ حُسْنَ الخُلُق مَحِلُّهُ الاجْتِمَاعُ، ولا تُعْرَفُ شِيَمُ الأَخْلاقِ حَتَّى يُبْتَلَى الإنسانُ بمخالَطَةِ النَّاسِ، فحِينَئِذٍ يَظْهَرُ صَبرُهُ وتَقْوَاهُ، ويمْتَحَنُ في عدَالَتِهِ، وقَدْ «رَوَى سُلَيْمَانُ بْنُ حُرَيْثٍ قَالَ: شَهِدَ رَجُلٌ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: إِنِّي لَسْتُ أَعْرِفُكَ، وَلاَ يَضُرُّكَ أَنْ لاَ أَعْرِفَكَ، فَائْتِنِي بِمَنْ يَعْرِفُكَ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: أَنَا أَعْرِفُهُ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ قَالَ: بِأَيِّ شَيْءٍ تَعْرِفُهُ؟ قَالَ: بِالْعَدَالَةِ وَالْفَضْلِ، قَالَ: هُوَ جَارُكَ الأَدْنَى تَعرفُ لَيْلَهُ وَنَهارَهُ ومَدْخَلَهُ وَمخْرَجَهُ؟ قَالَ: لاَ، قَالَ: فَمُعَامِلُكَ بِالدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ اللَّذَيْنِ يُسْتَدَلُّ بِهِمَا عَلَى الْوَرَعِ؟ قَالَ: لاَ، قَالَ: فَصَاحِبُكَ فِي السَّفَرِ الَّذِي يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى مَكَارِمِ الأَخْلاَقِ؟ قَالَ: لاَ، قَالَ: فَلَسْتَ تَعْرِفُهُ، ثُمَّ قَالَ لِلرَّجُلِ: ائْتِنِي بِمَنْ يَعْرِفُكَ»[7].

والملاحظُ على هَذِهِ النُّصُوصِ النَّبَوِيَّةِ أُمُورٌ نَذْكُرُ مِنْهَا مَا يَلِي:

أولاً: لمْ تخْلُ هَذِهِ النصُوصُ مِنْ عُنْصُرِ التَّوْكِيدِ أو التَّشْوِيقِ:

فالجمْلَةُ الخَبَرِيَّةُ في البَلاغَةِ العَرَبِيَّةِ عَلَى ثَلاثَةِ أَنْواعٍ: الخَبَــرِ (الابْتِدَائِيّ)، وهو الخبرُ الخَالي من المؤكِّدَاتِ، ويُنَاسِبُهُ أَنْ يَكُونَ المخاطبُ غيرَ عَالِمٍ بمضمونِ الخبر قَبْلُ، والخَبَــرِ (الطَّلَبيّ) وهو المؤكَّدُ بمؤكِّدٍ وَاحِدٍ، ويُنَاسِبُهُ أَنْ يَكُونَ المخَاطَبُ عَالمًا بالخَبرِ لكنَّهُ مُتردِّدٌ في قَبُولِهِ، والخَبَــرِ (الإِنْكَارِيّ)، وهو المؤكَّدُ بِأَكْثَرَ مِنْ مؤكِّدٍ، ويناسِبُهُ أَنْ يَكُونَ المخَاطَبُ مُنْكِرًا أَوْ جَاحِدًا لمضْمُونِ الخَبرِ، هَذَا هُوَ الأَصْلُ، ثُمَّ يخْتَلِفُ الاسْتِعْمَالُ بحَسَبِ مَا يَقْتَضِيهِ المقَامُ مِنْ مُوَافَقَةٍ لأَصْلِ الكَلَامِ أَوْ خُرُوجٍ عَلَيْهِ لِفَائِدَةٍ بَلاَغِيَّةٍ أُخْرَى.

ومِنْ سُبُلِ التَّوكِيدِ في هَذِهِ النّصُوصِ اسْتِعْمَالُ الحرفِ (إِنَّ) فِي أَكْثَرَ مِنْ نَص، واللامِ في قَوْلِهِ: «لَيُدْرِكُ»، ثُمَّ (إِنمَّا) الدَّالةِ عَلَى القَصْرِ والحَصْرِ، كَمَا أَنَّ اسْتِعْمَالَ (أَفْعَل) التَّفْضِيلِ المَــسْبُوقَةِ بِنَفْيٍ في قوْلِهِ: «مَا مِنْ شَيْءٍ فِي المِيزَانِ أَثْقَلُ». أو المجَرَّدَةِ عن النَّفْيِ في قَوْلِهِ: «أَكْمَلُ...أَحْسَنُهُمْ»، فيه الدِّلاَلَةُ على الزِّيَادَةِ، وهذه الزِّيَادَةُ الحاصِلَةُ من المفَاضَلَةِ فِيهَا حَثٌّ وتَرْغِيبٌ وبيانُ الفَضْلِ، وكُلُّهَا محْمُولَةٌ عَلَى مَعْنَى التَّوْكِيدِ، ومن سُبُلِ التَّشويقِ مجِيءُ هَذَا الاسْتِفْهَامِ: «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَحَبِّكُمْ إِليَّ وأَقْرَبِكُمْ مِني مجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ؟».

والتَّشْوِيقُ هُوَ تحْرِيكُ بَوَاعِثِ الشَّوْقِ في نَفْسِ السَّامِعِ، فَكَأَنَّ المتَلَقِّي أَكْثَرُ تَشَوُّقًا لمعْرِفَةِ المسْئُولِ عَنْهُ وَقْتَ السُّؤَالِ، فَيَقع بعْدَ ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ أَيمَّا مَوْقِعٍ، ويَكُون الغَرَضُ هو جَذْبُهُ وتَهْيِأَتُهُ إِلى تَلَقِّي مَضْمُونِ الخَبرَ لِيَكُونَ فِي نَفْسِهِ آكَدَ من إِلْقَائِهِ دُونَ تَشْوِيقٍ، كَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾.

(1) الأدب المفرد، للإمام البخاري رحمه الله تعالى، وسنن أبي داود، ٤١٦٦.
(2) السنن الكبرى للبيهقي، ١٩١/١٠، برقم ٢١٢٩٩.
(3) السابق ، ١٩١/١٠، برقم ٢١٣٠١.
(4) صحيح ابن حبان ٢٢٨/٢ ، حديث رقم ٤٨٠، وسنن أبي داوود ٤١٦٥.
(5) السابق ٢٣٥/٢، حديث رقم ٤٨٥.
(6) السابق، ٢٢٧/٢، رقم ٤٧٩.
(7) الحاوي في فقه الشافعي، أبو الحسن الماوردي (ت٤٥٠هـ)، ١٨٠/١٦. وانظر سنن البيهقي ١٢٥/١٠، برقم ٢٠٩٠١.

وفي قصةِ إسلامِ أبي ذرّ، عن عبدِ الرَّحمْنِ بْنِ مَهْدِيٍّ قَالَ: لما بَلَغَ أبَا ذرّ مبعثُ النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم- بمكةَ: قَالَ لأخِيهِ: «ارْكَبْ إلى هَذَا الوَادِي فَاعْلَمْ لي عِلْمَ هَذَا الرَّجُلِ الذي زَعَمَ أنَّه يأتِيهِ الخبرُ مِن السَّمَاءِ، واسمعْ قَوْلَه ثُمَّ ائْتِنِي، فانطَلَقَ حتَّى قَدِمَ مكةَ، وسمِعَ مِنْ قَوْلِهِ ثُمَّ رَجَعَ إلى أبي ذر، فقال: رأيتُه يأمُرُ بمكارمِ الأخْلاق، وكَلامًا مَا هُوَ بِالشِّعْرِ...الخ» ، فكَانَ ذِكْرُ مَكَارمِ الأخْلاق جُـملَةً بَاعِثًا مِنْ بَوَاعِثِ طَلَبِ أبي ذَرٍّ تَقَصِّي حَقِيقَةِ الإسْلامِ والإذْعَانِ لَهُ.

ثانيًا: بين الاسمية والفعلية:

غَلَبَ عَلَى هَذِهِ النصُوص استعمالُ الاسميةِ –جملةً أو مفردةً– عَلَى الفِعْلِيَّةِ، وذلِكَ لأنَّ الاسمَ أَدَلُّ على الثُّبُوتِ وآكَدُ للحُكْم، وقد أَشَارَ ابْنُ فَارسٍ إلى شَيْءٍ مِنْ هَذَا بقولِهِ: «النعتُ أَلْزَمُ، ألا ترى أنَّا نقولُ: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾، ولا نقول: آدَمُ عَاصٍ غَاوٍ؛ لأنَّ النعوتَ لازمةٌ، وآدمُ إنْ كانَ عَصَى في شيءٍ فإنَّه لمْ يَكُنْ شَأْنُهُ العِصْيانَ فَيُسَمَّى بِهِ».

وحينَ استُعْمِلَت الأفعالُ في هذِهِ النصوصِ النبويةِ المباركةِ جاءَتْ كُلُّهَا مُضَارعَةً (يحِبُّ- يَكْرَهُ- يُدرك- أُتمِم- أُخْبِرُكُمْ). قال عبد القاهر: «وأمَّا الفِعْلُ فموضُوعُه عَلَى أنَّه يقتَضِي تجَدُّدَ المعْنَى المثبت به شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ»[1]. وهَذِهِ الأَفْعَالُ مُتَعَلِّقَةٌ بالخُلُقِ تَعَلُّقًا مُبَاشِرًا، مَا عَدَا الفِعْلِ (بُعِثْتُ) الذي كَان مقدمةً للامِ التَّعْلِيلِ في (لأتمم)، ومَعْلُومٌ أنَّ للمضارعِ معنى الاستمراريةِ والدلالةِ علَى التجددِ وعدمِ الانقطاعِ.

وهنا لطيفة تتعلَّق بأنواع الأرواح وحظها من الأخلاق، فقد قيل في تحليل العروج بالأنبياء إلى السماء: «الأرواحُ أربعةُ أقسامٍ: الأولُ: الأرواح المكَدَّرةُ بالصفاتِ البَشَرية, وهي أرواحُ العَوَام غَلَبَتْهَا القُوى الحيوانيةُ لا تَقْبَلُ العُرُوجَ. والثاني: الأرواحُ التي لها كمالُ القوةِ النظريةِ للبدن باكتسابِ العلومِ، وهذه أرواحُ العلماءِ. والثالث: الأرواحُ التي لها كمالُ القوةِ المدبرةِ للبدن باكتسابِ الأخلاق الحميدةِ، وهذه أرواحُ المرتاضينَ إذا كَسَرُوا قُوى أبدَانِهِمْ بالارتياضِ والمجاهَدَةِ. والرابع: الأرواحُ التي حَصَل لها كمالُ القُوَّتَينْ، وهذِهِ غايةُ الأرواح البشريةِ، وهي للأنبياءِ والصديقينَ، فلمَّا ازدادتْ قوةُ أرواحِهِمْ ازْدَادَ ارتفاعُ أبدانِهِمْ عن الأَرْض»[2].

ثالثًا: خفوت الجملة الطلبية:

الجملةُ الطلبيةُ على خمسةِ أنواعٍ: الأمر والنهي والاستفهام والتمني والنداء، ومن الملاحظ أنه لمْ تَرِدْ صيغةُ الأمرِ والنهي، وإنما كَانَ الأمرُ عن طريق الحَثِّ والترْغِيبِ، وبيانِ الفَضْلِ والمنزلةِ، وعلى هذَا يجبُ أنْ يَسِيرَ المبلِّغُ عَن اللهِ وعَنْ رَسُولِهِ -صلى الله عليه وسلم-، فدلالةُ الأمْرِ أحسنُ ما تكونُ إذَا أَتَتْ عن طريق الحَثِّ والترغيبِ وبيانِ الفضل، لا عن طريق صِيَغِهِ المباشرةِ إذا كَانَ الآمرُ لا يَعْلُو رتبةَ المأمور، وقد سَلَكَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم هذا الطريق غالبًا، مع كونه –صلى الله عليه وسلم–أعْلَى رتبةً ومَقَامًا من المأمورينَ؛ إذْ إنَّهُ هو المُشَرِّعُ بأبي هو وأمي. وأيضًا فإنَّ دِلالةَ النَّهْيِ إذَا اقْتَرَنَتْ بالتَّحْذِير لا بِصِيغَتِهِ كَانَتْ أَحْسَنَ إذَا تَسَاوَتْ رتبةُ الناهِي بِمَنْ يُنْهَى عن الفِعْلِ. وقد قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾.

وعن جَابرِ بن سُلَيْمٍ قَالَ: «أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهُوَ مُـحْتَبٍ بِشَمْلَةٍ لهُ وقد وَقَعَ هُدْبُهَا على قَدَمَيْهِ، فَقُلْتُ: أَيُّكُمْ محُمَّدٌ أَوْ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟ فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى نَفْسِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إنِّي مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، وَفيَّ جفَاؤُهُمْ، فَأَوْصِنِي، فَقَالَ: لاَ تحْقِرَنَّ مِنَ المْعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ وَوَجْهُكَ مُنْبَسِطٌ، وَلَوْ أَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ في إِنَاءِ المُسْتَسْقِي، وَإِنْ امْرُؤٌ شَتَمَكَ بمِا يَعْلَمُ فِيكَ فَلاَ تَشْتُمْهُ بمِا تَعْلَمُ فِيهِ؛ فَإِنَّهُ يَكُونُ لَكَ أَجْرُهُ، وَعَلَيْهِ وِزْرُهُ، وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الإِزَارِ، فَإِنَّ إِسْبَالَ الإِزَارِ مِنَ المْخِيلَةِ، وَإِنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- لاَ يحِبُّ المْخِيلَةَ، وَلاَ تَسُبَّنَّ أَحَدًا، فَمَا سَبَبْتُ بَعْدَهُ أَحَدًا وَلاَ شَاةً وَلاَ بَعِيرًا»[3].

والحمد لله رب العالمين،

---

(١) انظر دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني صـ ١٧٤.
(٢) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن ١٢/ ٣٧٤٢.
(٣) مسند أحمد، حديث رقم ١٩٧١٧.



أنا عربي (شعر)

أسعد الديري
كاتب وشاعر سوري

أنَا عَرَبِي..

نَعَمْ عَرَبِي..

هُنَا أرْضِي، وَمِيلادِي

هُنَا أهْلِي، وَأجْدَادِي..

وَتَارِيخِي.. هُنَا نَسَبِي

وَلِي وَطَنٌ

مِنَ الْبَحْرْ.. إلىَ الْبَحْرْ

سأحميهِ مِنَ النُّوَبِ

سأفقأُ عينَ مُغْتَصِبِي

إذا ما جاءَ يَسْلُبنِي

حكاياتي، وأحلامي

وزيتوني، وليموني

بلا سببِ

أنا عربي..

نعم عربي..

جبيني سوفَ أرفعُه

إلى العلياءِ نحوَ الشمسِ

في أدبِ

ولنْ أحنيهِ للأوغادِ في ذلٍّ

كذا قالوا ليَ الأجدادُ

في الكُتُبِ

وقالوا:

«لا تُصالحهمْ..

وإن أغروكَ بالألماسِ والذهبِ»

وقالوا:

«لا تصافحهمْ..

فإنَّ الغدرَ شيمتُهم؛

فقد فُطروا على الكذبِ»

أنا عربي..

نعم عربي..

وَهبنا العلمَ والأخلاقَ للدنيا؛

فمنَّا جاءَ ألفُ نبي

ومنهمْ جاءَ ألفُ غبي

أنا عربي..

نعم عربي..

وهذي الشمسُ

أهواها، وتهواني

وأعشقُها، وتعشقُني

وإنْ غابتْ أناديها:

«ألا يا شمسُ مِن عُشَّاقكِ اقتربي

لننقشَ «سورةَ الإبداع»

فوقَ الغيمِ والشهبِ»

أنا عربي..

نعم عربي..

وأفخرُ أنّني عربي



"ملك النحاة" ومسائله العشر المتعبات إلى يوم الحشر

د. أحمد علي سعد الله
أكاديمي مصري

العلم ثلاثة أشبار، إذا بلغ الطالب الشبر الأول شمخ بأنفه، وإذا بلغ الشبر الثاني تواضع، وإذا بلغ الشبر الثالث علم أنه جاهل.

رأيت هذه العبارة متأصلة في الأسفار، فتارة تنقل عن الخليل، وتارة عن الشعبي، وتارة عن الشافعي، وتارة عن غيرهم، وتواترها يشي بأنها قاعدة مطردة في علوم الآدميين، فهل لها شواذ؟

لعل صاحبنا اليوم من شواذ هذه القاعدة، فقد كان من حوله يشهدون له بالعلم والفضل، وهو مع ذلك لم يعرف بتواضعه بقدر ما كان يعرف بشموخ أنفه، حتى سمى نفسه ملك النحاة، وكان يسخط على من يخاطبه بغير ذلك.

إنه الحسن بن صافي بن عبد الله بن نزار بن أبي الحسن، أبو نزار، الملقب بملك النحاة.

قال القفطي: كان والده مولى حسين الأرموي التاجر، وولد هو بشارع الرقيق ببغداد، ثم انتقل إلى الجانب الشرقي، وتفقه للشافعي على أحمد الأشنهي، وقرأ الأصول على ابن برهان، والخلاف على أسعد الميهني، والنحو على الفصيحي حتى برع فيه.

وتصدر صاحبنا للتدريس؛ فدرَّس النحو في أحد مساجد بغداد، وذاع صيته فيها، واتضح فضله وعلمه بين طلاب العلم، ثم ارتحل إلى مدينة واسط، فأخذ عنه جماعة من أهلها، وأثنوا على فضله ومعرفته، ثم طاف بعد ذلك في مدن شيراز وكرمان وغزنة زمنًا طويلاً، ورحل إلى أصفهان سنة ٥٤١هـ، ثم اتجه إلى الشام، فأقام بدمشق قليلاً ثم غادرها إلى الموصل بعد أن اجتمع عليه بعض شعرائها فهجوه، قال البلطي: كان ملك النحاة قدم إلى الشام، فهجاه ثلاثة من الشعراء: ابن منير، والقيسراني، والشريف الواسطي، واستخف به ابن الصوفي ولم يوفه قدر مدحه، فعاد إلى الموصل ومدح جماعة من رؤسائها وقضاتها، فلما نبت به الموصل، قيل له: لو رجعت إلى الشام، فقال: لا أرجع إلى الشام إلا أن يموت ابن الصوفي، وابن منير، والقيسراني، والشريف الواسطي، فقتل الشريف الواسطي، ومات ابن منير والقيسراني في مدة سنة، ومات الصوفي بعدهم بأشهر[١].

(١) معجم الأدباء: ١/ ٣٣٩.



تهيأت الأجواء لصاحبنا كما كان يريد، فعاد أبو نزار إلى الشام، وأقام بدمشق في رعاية نور الدين محمود بن زنكي، واستوطنها إلى أن مات ودفن بمقبرة باب الصغير.

قال العماد: أقام ملك النحاة بالشام في رعاية نور الدين محمود بن زنكي، وكان مطبوعًا متناسب الأحوال والأفعال، مر الشكيمة، حلو الشيمة، يضم يده على المائة والمائتين ويمشي وهو منها صفر اليدين، مولعًا باستعمال الحلاوات السكرية، وإهدائها إلى جيرانه وإخوانه[٢].

ذكر صاحب معجم الأدباء أن صاحبنا كان لا يَذكر اسم أبيه إلا بكنيته، لئلا يعرف أنه مولى[٣].

كما ذكر ياقوت الحموي، ونقل عنه السيوطي أن صاحبنا كان صحيح الاعتقاد، كريم النفس، مطبوعًا، متناسب الأحوال، يحكم على أهل التمييز بحكم ملكه، فيقبل ولا يستثقل، فيقول: هل سيبويه إلا من رعيتي وحاشيتي؟! ولو عاش ابن جني لم يسعه إلا حمل غاشيتي.

ومن ظريف ما يحكى عنه أنه كان يستخف بالعلماء؛ فكان إذا ذكر واحد منهم، قال: كلب من الكلاب، فقال له رجل: أنت إذًا لست ملك النحاة، بل ملك الكلاب! فاستشاط غضبًا، وقال: أخرجوا عني هذا الفضولي[٤].

ومن ظريف ما يحكى عنه أيضًا: أن نور الدين محمود خلع عليه خلعة سنية، ونزل ليمضي إلى منزله، فرأى حلقة عظيمة فمال إليها لينظر ما هي، فوجد رجلاً قد علَّم تيسًا له استخراجَ الخبايا وتعريفه ما يقول له من غير إشارة، فلما وقف عليه ملك النحاة، قال الرجل لذلك التيس: في حلقتي رجل عظيم القدر، شائع الذكر، ملك في زي سوقة، أكرم الناس، وأجمل الناس، فأرني إياه، فشق ذلك التيس الحلقة، وخرج حتى وضع يده على ملك النحاة، فلم يتمالك ملك النحاة أن خلع تلك الخلعة، ووهبها لصاحب التيس، فبلغ ذلك نور الدين فعاتبه، وقال: استخففت بخلعتنا، فقال يا مولانا: عذري في ذلك واضح، لأن في هذه المدينة زيادة على مائة ألف تيس، ما فيهم من عرف قدري إلا هذا التيس، فجازيته على ذلك، فضحك منه نور الدين وسكت[٥].

بين صاحبنا وابن الشجري:

عُرف صاحبنا -كما تقدم- بشموخ أنفه، واعتزازه برأيه، وجرأته على السلف من النحاة، ورد آرائهم، وكان ابن الشجري صاحب الأمالي معاصرًا له، ولم يرض ابن الشجري بمذهب صاحبنا، وتخطئته لأصحاب الفصاحة، ورده لبعض آراء النحاة، ورد ابنُ الشجري في أماليه على صاحبنا، ووسمه بالجهل فقال: لله وأمّا «سوى» فإنّ العرب استعملتها استثناء، وهي في ذلك منصوبة على الظرف، بدلالة أنّ النصب يظهر فيها إذا مدّت، فإذا قلت: أتاني القوم سواك، فكأنك قلت: أتاني القوم مكانك، وكذلك: قد أخذت سواك رجلا، أي مكانك.

واستدل الأخفش على أنها ظرف بوصلهم الاسم الناقص بها، في نحو: أتاني الذي سواك، والكوفيون يرون استعمالها بمعنى غير.

وأقول: إدخال الجارّ عليها في قول الأعشى:

وَمَا قَصَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا لِسِوَائِكَا

يخرجها من الظرفيّة، وإنما استجازت العرب ذلك فيها تشبيهًا لها بـــ «غير»، من حيث استعملوها استثناءً، وعلى تشبيهها بـــ «غير» قال أبو الطيب:

أَرْضٌ لهَا شَرَفٌ سِوَاهَا مِثْلهَا
لَوْ كَانَ مِثْلكَ فِي سِوَاهَا يُوجَدُ

---

(٢) معجم الأدباء: ياقوت الحموي: ١/ ٣٣٩.
(٣) نفسه: ١/ ٣٣٩.
(٤) بغية الوعاة: السيوطي: ١/ ٥٠٥.
(٥) نفسه: ٣٤٠.

رفع «سوى» الأولى بالابتداء، وخفض الثانية بــ(في)، فأخرجهما من الظرفيّة، فمن خطَّأه فقد خطَّأ الأعشى في قوله: «لسوائكا»، ومن خطّأ الأعشى في لغته التي جُبل عليها، وشعره يستشهد به في كتاب الله تعالى، فقد شهد على نفسه بأنه مدخول العقل، ضارب في غمرة الجهل.

وليس لهذا المتطاول إلى ما يقصر عنه ذرعه شيء يتعلّق به في تخطئة العرب إلا قول الشاعر:

حَرَاجِيجُ مَا تَنْفَكُّ إلاَّ مَنَاخَةً
عَلَى الخَسْفِ أَوْ نَرْمِي بِهَا بَلَدًا قَفْرَا

فكلّ فاقرة ينزلها بالعربيّة يزفّ أمامها هذا البيت، معارضا به أشعار الفحول من العرب العاربة، وليس دخول «إلاّ» في هذا البيت خطأً كما توهّم، لأن بعض النحويّين قدّر في «تنفكّ» التّمام، ونصب «مناخة» على الحال، فتنفكّ هاهنا مثل منفكّين، فى قول الله عز وجل: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ (البيِّنة: ١). فالمعنى: ما تنفصل عن جهد ومشقّة إلاّ في حال إناختها على الخسف، ورمي البلد القفر بها، أي تنتقل من شدّة إلى شدّة.

ومن العجب أن هذا الجاهل يقدم على تخطئة سلف النحويّين وخلفهم، وتخطئة الشعراء الجاهليّين والمخضرمين والإسلاميّين، فيعترض على أقوال هؤلاء وأشعار هؤلاء بكلام ليس له محصول، ولا يؤثر عنه أنه قرأ مصنَّفًا في النحو، إلاّ مقدّمة من تأليف عبد القاهر الجرجاني، قيل: إنها لا تبلغ أن تكون في عشر أوراق، وقيل: إنه لا يملك من كتب النحو واللغة ما مقداره عشر أوراق، وهو مع ذلك يردّ بقحته على الخليل وسيبويه، إنها لوصمة اتّسم بها زماننا هذا، لا يبيد عارها، ولا ينقضي شنارها، ... ولولا إيجاب حقّ من أوجبت حقّه، والتزمت وفاقه، واحترمت خطابه، لصنت خطّي ولفظي عن مجاورة خطّه ولفظه»[٦].

صاحبنا ومسائله العشر:

صنَّف صاحبنا كتبًا، منها: الحاوي في النحو، والعمدة فيه، والمقتصد في التصريف، والتذكرة السفرية، والحاكم في الفقه، والمقامات، وديوان شعره، وغير ذلك، وله عشر مسائل استشكلها في العربية، سماها المسائل العشر المتعبات إلى الحشر[٧].

وقد جمع السيوطي في الأشباه والنظائر هذه المسائل العشر، ورأي صاحبنا فيها، قال السيوطي: «قال السخاوي في سفر السعادة: هذه عشر مسائل سماها أبو نزار الملقب بملك النحاة: المسائل العشر المتعبات إلى الحشر، وتحدى بها»[٨].

ولقد نقل السيوطي هذه المسائل عن السخاوي كما هو ظاهر من نصه، وإنَّ القارئ لهذه المسائل، وطريقة عرض صاحبها لها ليدرك من الوهلة الأولى أن صاحبنا كان ينظر إلى المسألة اللغوية من مناظير شتى، وعلوم عدة تشهد له بقدرة رائعة في الحجاج اللغوي.

---

(٦) أمالي ابن الشجري - تحقيق: محمود الطناحي - مكتبة الخانجي - ط ١: ٢/ ٣٧٣.
(٧) ينظر بغية الوعاة: ١ / ٥٠٥.
(٨) الأشباه والنظائر: السيوطي – تحقيق: عبدالعال سالم مكرم – مؤسسة الرسالة – ط١: ٦ / ٦٠.

لم يخل ذكر مجالس صاحبنا من طرافة وظرف، أستطيع أن أسميه ظرف شموخ الأنف، أو ظرف الـــ(أنا)؛ ذلك الظرف الذي ظل مقرونًا بذكره حتى بعد موته؛ فقد ورد أنه رُئِيَ في المنام، فقيل له: ماذا فعل الله بك؟ قال: أنشدته قصيدة ما في الجنة مثلها، وهي:

يَا هَذِهِ اَقْصِرِي عَنِ الْعَذْلِ

فَلَسْت فِي الحلِّ ويك مِنْ قبل

يَا رَبِّ هَا قَدْ اَتَيْتُ مُعْترفًا

بِمَــا جَنَتْهُ يَــدَايَ مِنْ زَلَل

مَلآنَ كَفٍّ بِكُــلِّ مَأثمَــةٍ

صِفْرَ يَدٍ مِنْ محَاسِنِ الْعَمَل

فَكَيْفَ اَخْشَى نَارًا مُسَعَّرَةً

وَاَنْتَ يَا رَبُّ فِي الْقِيَامَةِ لِي!

قال: فوالله منذ فرغت من إنشادها ما سمعت حسيس النار[٩].

فتدبر الرواية، ونص الرائي على قول صاحبنا: «ما في الجنة مثلها» يشعرك بما نستطيع تسميته بطرافة الاعتداد بالذات، الذي كان ملازمًا لصاحبنا في حياته، حتى حمله على تلقيب نفسه بملك النحاة، كما حمله على الحرص على سماع هذا اللقب علَمًا عليه من معاصريه.

مات صاحبنا بدمشق يوم الثلاثاء تاسع شوال سنة ثمان وستين وخمسمائة، ومولده سنة تسع وثمانين وأربعمائة[١٠].

رحم الله ملك النحاة، وبارك علمه، ونفع المسلمين بمسائله التي بقيت شاهدة لنا على سعة علمه واطلاعه، وجعلها الله في سجل حسنه جالبة لغفران الله ورحمته!



(٩) يُنظر: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة: الفيروزابادي – تحقيق: محمد المصري – جمعية إحياء التراث الإسلامي بالكويت – ط١: ١/ ١٦، ويُنظر أيضًا: بغية الوعاة: ١/ ٥٠٥.

(١٠) بغية الوعاة: ١/ ٥٠٥.



نظرة إلى لغة الإعلام

دينا عبده زايد
دارسة مصرية

لقد أصبح العالم قرية صغيرة، يدركنا الخبر قبل أن ندركه، وتلحقنا البرامج بأنواعها المختلفة ونحن فى منازلنا لنشاهد ونسمع صوت المثقفين، والأدباء، والشعراء، والإعلاميين، والساسة، وغيرهم ممن لهم قدرة على التأثير فى نفوس مستمعيهم، فإذا كان العالم بالفعل الآن قرية صغيرة، فإن وسائل الإعلام هي النافذة التي نرى من خلالها هذا العالم ونسمع أصواته الصاخبة الواضحة وحتى الهامسة الخفية.

ونظرًا لهذا الدور الذي يقوم به الإعلام من التأثير فى عقول الناس وقلوبهم وحواسّهم فى مناحى الحياة كافة، لزم النظر إلى تأثير لغة الإعلام فى لغة متابعيه، أو فلنقل التأثير المتبادل بين لغة الإعلام ولغة متابعيه؛ إذ يمكننا القول إن لغة الإعلام تؤثر فى الناس مثلما تتأثر بلغة هؤلاء الناس، وكل منهما مرآة تعكس الأخرى.

وهناك من الموادِّ الإعلامية ما يُلتزم فيها باللغة العربية الفصحى؛ لذا فهي ليست موضع حديثنا، وبالطبع هناك من البرامج أنواع عديدة: سياسية، وثقافية، واجتماعية، كلٌّ تختلف لغته عن الآخر، ومن البرامج التي ظهرت فى الآونة الأخيرة -والتي تجمع بين فقراتها أشكالاً من كل الأنواع السابقة- برامج «التوك شو»؛ لذا فهي مثال واضح يمكننا تسليط الضوء عليه؛ لأنها من أقرب أنواع البرامج لقلوب الناس، ولذا فهي ذات تأثير واضح عليهم عامة وعلى لغتهم خاصة.

ومن الواضح وضوح الشمس أن لغة الإعلاميين فى هذه البرامج تتدهور يومًا بعد يوم، وتتغلغل فيها العامية أكثر من اللازم، ويا ليتها عامية تناسب المثقفين والمتنورين بل إنها عامية تكاد تقترب من عامية الأميين، وربما السبب فى هذا هو رغبة الإعلاميين فى التواصل مع المستويات الثقافية كافة، وربما السبب هو سوء اللغة على ألسنة الإعلاميين أنفسهم، وهذا هو الأرجح؛ إذ ليس من الضرورى -فى وقتنا هذا- أن يكون الإعلامى على قدر كبير من التعليم والثقافة وإتقان اللغة، بل اننا نجد أناسا أقرب إلى الجهالة منهم إلى أي شيء آخر، بالإضافة إلى تأثرهم بلغة العوام فى الشارع، والتي يتأثر بها المجتمع بأسره، فهي لغة الباعة فى السوق وسائقي المواصلات و... إلخ، وهي لغة متأثرة بكل ساقط هابط من جديد اللغة -إن صح التعبير-

وللأسف فإن السيئ غالبًا له التأثير على الأعلى منه وليس العكس، والإعلاميون فى ذلك شأنهم شأن بقية الناس، يتكلمون بلغة متأثرين هم بعوامل خارجية فيها مثلما يؤثرون فيمن يستمع لهم بالطبع، ربما بالإيجاب حينًا وبالسلب أحيانًا أخرى.

ونظرًا لهذا التأثير المتبادل بين الفئتين، فإنه يمكن استغلال هذا التأثير استغلالاً حسنًا عن طريق الإعلاء من المستوى اللغوي للإعلاميين شيئًا فشيئًا، وذلك من خلال تنمية ثقافتهم، وتعليمهم العربية الفصحى حتى يجيدوها إجادة تامة، وتجريم النطق بالسباب والشتائم التى تشين الكلام فتشين معه لغة الكلام، وحتى نعالج الموضوع من جذوره فيجب أن يتم الاهتمام بتدريس اللغة العربية فى كليات الإعلام، وألا يعمل فى هذا المجال سوى المتخصصين، وهذا من أجل تنمية اللغة على ألسنة العوام الذين يستمعون للغة الإعلاميين، وبهذا نكون اتخذنا من الإعلام -الذى هو أكبر وسيلة للتأثير فى الناس- وسيلة لتنمية اللغة، وبهذا يتم الإعلاء من شأن اللغة، ويمكن القيام بهذه المهمة أيضا من خلال القيام ببرامج متخصصة فى تعليم اللغة العربية للناس، وتحبيبهم فى اللغة، من أجل أن يرتفع شأن اللغة فى أعين متكلميها.

وتجنبًا للفهم الخطأ لمستوى اللغة الذي نرجو وصول الإعلاميين إليه، فإني ألْفت النظر إلى أن للفصحى مستويات، وللعامية أيضًا؛ ولذلك فإن لكل برنامج مستوًى معينًا من اللغة يجب فيه التحدث بها، ولكن هذا المستوى لم يتم الالتزام به للأسف وهنا تكمن المشكلة، وأصبح مستوى الفصحى متدنيًا ومستوى العامية متدنيًا أيضا ومبتذلاً تشمئز منه الأذن، ولا يجب أن يخرج من فم إعلامي له منبر تسمعه منه أعداد كبيرة من الناس وتتأثر بما يقول، وتتخذه قدوة فى كثير من الأحيان، بالإضافة إلى إدخال العامية فى المواضع التي يجب فيها التحدث بالفصحى، فإننا بهذه الطريقة نزيح الفصحى من طريقنا شيئًا فشيئًا، وإذا التزم أحد بها فى موضعها يضجر منه المستمعون؛ فما اعتادوا على ذلك، بل اعتادوا على لغة رديئة ركيكة، إننا بذلك نهدمها هدما، ونهجرها بشكل ظالم لها، فهي ليست بالقبيحة التي تهجر، وليست بالركيكة أو التى لا تفي بالغرض لكي نتجنبها، بل إن من يتجنبها يتجنبها لأنها أعلى من مستواه الثقافى، فبالطبع كلما ارتفع شأن الفرد تعليمًا وثقافة، ارتفع مستوى لغته، فلننتبه فلغة الفرد تعكس مدى تحضره، وأيضًا لغة إعلامنا -كدولة يسمعها العالم كله- تعكس مدى تحضرنا كشعب.



خذني إليك! (شعر)

محمود العيسوي
باحث وشاعر مصري

نادر: حبيبي.. حبيبي

وأنت الأَمَلْ!

وأنت الشِّفــاءُ لقَــلبٍ ثمَلْ

وأنت الدَّواءُ لجُــرْحٍ دَمــلْ

وأنت النَّضــارُ لوَرْدٍ ذَبَــلْ

▪▪▪

حبيبي.. حبيبي

وليسَ سِواكْ

حَبيب به الطُّهرُ طهْرُ المَلاكْ

وأنتِ المُرجَّى إذا ما الهَلاكْ

أصابَ الفــُؤادَ بداءٍ قَتَــلْ

▪▪▪

وأنتِ اليَقينُ إذا شكَّ قَلْبــي

غمرتِ الفؤادَ وفُزتِ بحُبِّــي

وشوقي إليكِ، لقد طار لُبِّي!

ونجَوايَ أنتِ إذا الليلُ حــلَّ

▪▪▪

فيا دعوةَ الأمِّ، لبــَّى الإلــهْ

بخيرٍ وبشْرٍ وفَــرحِ الحَيــاهْ

وأنتِ الهُدى إنْ أطافَ الغُواهْ

وأنتِ السَّكينةُ لحْــظَ الوجَلْ!

▪▪▪

زهرة: حبيبي.. حبيبي

فخذْني إليكْ

ولا، لا تخَفْ، ثم لا، لا علَيكْ

فهــا أنا ذي زهرةٌ في يدَيكْ

أداوي الفــؤادَ بلطْــفٍ ودَلّْ

▪▪▪

فدعْ عنكَ كلَّ الأذَى والهُمومْ

تعــالَ لنَــعرُجَ فوق النُّجومْ

ونَنسى الترابَ، وهذا العَذابَ

وهذاالوجومْ!

ولا يــا حبيبيَ، لا لا تُبَــلْ

▪▪▪

نادر: وأنتِ.. تعالَي مَعي!

زهرة: أين آتي؟!

نادر: إلى ربــوةٍ في أعــالي الجبَلْ!

علاها النَّسيمُ، علاها الطَّلَلْ!

كساها الربيعُ بديعَ الحُــلَلْ!

إلى منزلٍ لا تــَراه العُيــونْ!

زهرة: سوى عينِ ربِّ العبادِ الأجَلّ!

نادر: تعالَيْ لنَنقُــشَ ذِكرى لَنــا

نُري للمحبِّيــنَ فيها المثَــلْ!

زهرة: فهذي يَدي في يدَيك!

نادر: أجَلْ

▪▪▪



تأملات نحوية (١)

استنباطات في الحروف والأدوات

د. نعيم محمد عبد الغني
أكاديمي مصري

الأدوات مفردات تشغل وظائف نحوية، وهي تشمل الأسماء والحروف، وقد نالت هذه الأدوات عناية النحاة وخاصة حروف المعاني التي تعد في الواقع دراسة للتركيب الذي يكون فيه الحرف بمفرداته وعلاقاته الأخرى[١]، ولهذه الأدوات سمات نختار منها ما يتعلق بطريقة تفاعلها مع الوظيفة النحوية في الجملة بصفة عامة، وهي:

أولاً: تسميات النحاة لهذه الأدوات كان في أغلبه من منطلق دلالي؛ فهناك أدوات القسم، والشرط، والنداء، والتمني، والترجي، والعرض ...إلخ وهذه كلها تسميات دلالية، وقد تكون التسمية وظيفية بحيث يذكر الأثر المترتب على دخول هذه الأداة على مفردة ما كأدوات الجر، التي يكون الاسم بعدها مجرورًا بعلامة أصلية أو فرعية وأدوات الجزم، التي يتمثل أثرها على الفعل في الجزم بعلامة أصلية أو فرعية، وهكذا، وهناك أدوات يسميها النحاة بالمعنيين الدلالي والوظيفي فيقولون عن (لن) بأنها نفي وقلب، وهما أثران دلاليان وجزم وهو أثر وظيفي، ويقولون عن (إن) بأنها حرف توكيد، وهو أثر دلالي ونصب وهو أثر وظيفي.

ثانيا: هذه الأدوات عند تسميتها - بغية تصنيفها- مثلت مجموعات دلالية يتم الاختيار من بينها؛ لشغل الوظيفة النحوية المناسبة، والاختيار يتم من داخل كل مجموعة، أي يختار مثلا من حروف العطف ما يدل على الترتيب، أو يختار من حروف الجر[٢] ما يدل على التبعيض، وهناك أدوات تدخل على العاقل وأخرى تدخل على غير العاقل وهكذا.

ثالثا: هذه المجموعات التي تصنف فيها الأدوات ليست مجموعات مغلقة، فقد تشترك كل مجموعة مع أخرى اشتراكا لفظيا أو معنويا، فأما الاشتراك اللفظي فإننا نجد الواو في مجموعة القسم، ونجدها في العطف، ونجدها مفيدة الاستئناف، وكل تصنيف لها يترتب عليه أثر وظيفي ودلالي مختلف، وهناك مثلا أدوات تفيد الاستعلاء أو انتهاء الغاية كحرفي الجر إلى وحتى.

ورغم إمكانية إدراج كل مجموعة من الأدوات تحت حقل دلالي واحد إلا أن كل أداة تحتفظ بسمات تميزها عن الأخرى، فمثلا الحروف التي تدل على انتهاء الغاية هي: (إلى- حتى)، و(إلى) حرف جر من معانيه أنه

يدل على انتهاء غاية الزمان نحو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾[٣]، ويدل على انتهاء غاية المكان، نحو قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾[٤] فالفعلان (أتموا) و(أسرى) في الآيتين قيدا بحرف الجر (إلى) الذي يفيد انتهاء الغاية[٥].

و(حتى) مثل (إلى) في أنها تفيد انتهاء الغاية، إلا أنها تختلف عن (إلى) في أشياء، هي:

١. أنها تفيد تقَضِّي الفعل شيئًا فشيئًا؛ ولذا لا يجوز: كتبت حتى زيد، وأنا حتى عمرو، ويجوز: كتبت إلى زيد، وأنا إلى عمرو، أي: هو غايتي.

٢. أنها لا تقبل الابتداء؛ لضعفها في الغاية، فلا يقال: سرتُ من البصرة حتى الكوفة، كما يقال: إلى الكوفة

٣. أنها لا تجر إلا آخرا، أي آخر جزء، نحو: أكلت السمكة حتى رأسها.

٤. أنها لا تجر إلا ظاهرا خلافا للمبرد والكوفية في تجويزهم جرها المضمر، مستدلين بقول الشاعر:

فَلا وَاللهِ لا يَلْقَى أُنَاسٌ   فَتًى حَتَّاكَ يَا ابْنَ أَبي إِيَادِ[٦]

وقال الجمهور: إنه ضرورة[٧].

رابعا: ورغم أن هناك سمات دلالية تخص كل أداة إلا أن السياق يسوغ بأن تتناوب الأدوات دلاليًا فيما بينها، كما يحدث بين (إنْ) و(إذا) لفظًا، أو حين تجيء (إنْ) بمعنى (لو)، وهذا التبادل يتم لنكتة بلاغية، كإبراز غير الحاصل في معرض الحاصل، أو التفاؤل بوقوعه، أو غير ذلك مما هو مشهور.

خامسا: وهناك أدوات لا يمكن أن ينوب عنها شيء وذلك ما يحدث في كاف التشبيه؛ إذ لا يجعل في مكانها (مثل)، قال السيرافي: «ومما لا يجوز إلا في الشعر جعل (الكاف) في موضع (مثل)، اسما وإدخال حروف الجر عليها كإدخالها على (مثل)، مثل قولهم: «زيد كعمرو» يريدون كمثل عمرو، فجعلوا الكاف الثانية في موضع مثل، وجعلوا الكاف الأولى حرف جر دخل عليه»[٨]، والعلة في ذلك أن الكاف والمثل بمعنى واحد، ولا يمكن الجمع بين المثلين معًا فلا يمكن أن نقول: زيد مثل مثل عمرو؛ وأما قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[٩]،فالكاف زائدة[١٠].

سادسًا: هذه الأدوات التي صنفت في مجموعات حسب دلالتها أو حسب تأثيرها على ما تدخل عليها اشتهر منها ما هو أصل لهذه المجموعة أو ما يسمى بأم الباب، كــ(واو) العطف مثلا و(إن) الناسخة وهكذا، وبعض من هذه الحروف التي تعد أصلا على الحقل الذي صنفت فيه يأخذ أحكامًا خاصة عن بقية الحروف التي في مجموعته، فمثلا (من) تنفرد عن حروف الجر بأنها تجر الظروف التي لا تتصرف كــ(قبل) و(بعد) و(عند) و(لدى)، و(لدن) مثل قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾[١١] كما أن لها أحكامًا أخرى تنفرد بها[١٢]، والباء أصل أدوات القسم[١٣] ومن ثم فهي أكثرها[١٤]، فضلا عن أنها «تستبد عن غيرها بثلاثة أشياء: بالدخول على المضمر، كقولك: به لأعبدنه... وبظهور الفعل معها، كقولك: حلفت بالله... والأمر الثالث: أن تأتي بها للاستعطاف»[١٥]، والعلة في أن الباء أصل أدوات القسم؛ أنها للإلصاق، فهي تلصق فعل القسم بالمقسم به، ومن ثم اختص بها الطلب والاستعطاف، فلا يقسم فيهما بغيرهما نحو: بالله أخبرني، وبالله، هل قام زيد، أي: أسالك بالله مستحلفا»[١٦].

سابعا: والأدوات لا يمكن أن تأتي مستقلة بنفسها، بل تفتقر إلى مفردات من الأقسام الأخرى للكلم، وهي ببنيتها تضع قيودًا على نوع الكلمة التي تأتي معها، فهناك مثلاً حروف الجر التي تدخل على الأسماء وهناك مثلاً الحروف المختصة بالأفعال، ومنها ما يدخل على الجمل.



ثامنا: والأدوات ببنيتها تغير ولا تتغير[١٧]، ومن ثم فهي تحل في وظائف معينة في الجملة ويمتنع أن تشغل وظائف أخرى، فالأدوات لا تقع في وظيفة المبتدأ أو الخبر، ولا يدخل الحرف أو الأداة على حرف مثله، كما أن الأداة لا تدخل على فعل لا متعلق له مثل: أيقوم إلا إذا دل السياق على هذا المتعلق[١٨]. وحسب تأثيرها وعدم تأثيرها في ما تدخل عليه من مفردات اسمية أو فعلية تقسم إلى ثلاثة أقسام: قسم يعمل في الاسم فقط وقسم يعمل في الفعل فقط، وقسم ثالث يدخل على الاسم والفعل ولا يؤثر فيهما[١٩].

تاسعا: هذه الأدوات لها رتبة معينة في الجملة، فمنها ما يتصدر الجملة دوما ومنها ما لا يتصدر، ولكنها تتقدم دوما على المفردة التي تدخل عليها، وتلخص العلاقة بين أجزاء الجملة، وهذا التلخيص يكون سلبيًّا بعدم الأداة حين تقوم القرينة على المعنى المراد مع حذف الأداة وذلك كالاستغناء عن أداة الاستفهام أو العرض عند الاتكال على قرينة النغمة كأن تقول لرجل رآك تأكل تمرًا (تأكل؟) بنغمة العرض والمعنى ألا تأكل[٢٠].

وهذه الرتبة تعد قرينة لفظية مهمة للتفرقة بين الوظائف النحوية، فرتبة الصدارة هي الفارق الوحيد بين الأداة والظرف، لأن الظرف «يتقدم على مدخوله نحو «أزورك متى أهلَّ رمضان»، ولكن هذا الظرف إذا تعدد معناه الوظيفي فأصبح أداة شرط لزم الصدارة في الجملة فتصير الجملة الشرطية: «متى أهلَّ رمضان أزورك» ولا تكون متى في الشرط إلا في هذا الموضع»[٢١].

عاشرًا: إن هذه الأدوات تأتي لاختصار الوظائف النحوية في الجملة، «ومن هنا قامت في اللغة أدوات العطف والشرط والنفي والاستفهام، والنداء، والتأكيد، وغيرها لتلخيص معانيها على سبيل الإيجاز والاختصار، ومن هنا كان التعليق بالأداة -وهو الربط- أساسًا مُهمًّا في فهم التركيب؛ لأن التركيب العربي يعتمد في معظم صوره على الأداة في تلخيص العلاقة بين أجزائه»[٢٢] ويتضح هذا مثلا في أدوات الشرط؛ حيث إنها تتضمن معنى (إن)، يقول الرضي: «إنهم سلكوا طريق الاختصار، بتضمين هذه الكلمات معنى (إن)، إذ كيف يطول عليهم الكلام، لو قالوا في من ضربتَ ضربتُ: إن ضربت زيدا، وإن ضربت ضربت بكرًا، إلى ما لا يتناهى، وكذا ما، ومتى، وسائر أخواتها»[٢٣]، كما يتضح في عطف النسق، فلو قلنا مثلاً:

المنشار آلة تقطع الخشب والحديد، فإن عطف النسق اختصر ثلاث جمل في جملة واحدة؛ بغية الاختصار؛ لأن بنية الجملة العميقة هكذا:

١- المنشار آلة

٢- تقطع الآلة الخشب

٣- تقطع الآلة الحديد[٢٤].

حادي عشر: إن المعنى المعجمي للأداة وما تفرضه من قيود ببنيتها وبمعناها المعجمي كما سبق بيانه يجعلها قرينة مهمة في التعليق النحوي للتمييز بين الوظائف النحوية، ومن ذلك مثلا واو المعية التي تفرق بين المفعول به الذي تدل عليه أساسا قرينة التعدية وبين المفعول معه الذي تدل عليه قرينتا: المعية والأخرى الواو. كما يلاحظ في هاتين الجملتين: فهمت الشرح في مقابل فهمت والشرح، وكذلك غنيت زيدًا أغنية في مقابل غنيت وزيدًا أغنية؛ فلا الفتحة استطاعت التمييز بين المعنين ولا الرتبة معًا لاتحادهما في البابين، وإنما التفريق كان بإبراز القيمة الخلافية الناتجة في مقابل التعدية بالمعية والقيمة الخلافية الناتجة من مقابلة وجود الواو وعدمها. ولما كانت الواو هي مطية المعية هنا فلا يفهم معنى المعية بغير الواو اجتمع في الواو أمر التفريق بين المعنيين فصارت هي القرينة الوحيدة الدالة على المفعول معه وأصبح عدمها قرينة المفعول به، ومثل ذلك ما تفيده



أداة الاستثناء من فرق بين البدل والمستثنى في نحو المقابلة التالية: حييت القوم زيدا في مقابل حييت القوم إلا زيدًا، والنفي والقصر في ما قام زيد في مقابل ما قام إلا زيد[٢٥].

ولا يقتصر دور الأداة على التمييز بين الوظائف النحوية فقط، بل يتعداه إلى فك اللبس الدلالي، وهذه الظاهرة نجدها مثلا في الباء الجارة؛ فهي في أصل معناها أنها تفيد الإلصاق، قال ابن يعيش: «فأما الإلصاق فنحو قولك: أمسكت زيدا، يحتمل أن تكون باشرته بنفسك، ويحتمل أن تكون منعته من التصرف من غير مباشرة له، فإذا قلت: أمسكت بزيد فقد علمت أنك باشرته بنفسك»[٢٦].

ثاني عشر: هناك بعض الحروف التي تحدد كم الوظائف النحوية في الجملة من خلال السياق؛ حيث إنها تؤدي إلى قطع ما يسبقها من وظائف عن ما يلحقها من وظائف تكون بداية لجملة جديدة، وهذه الحروف هي: واو الاستئناف – الفاء – ثم – حتى – أم المنقطعة – بل – لكن، وتسمى هذه الحروف بحروف القطع؛ لأنها تقطع الجملة عما قبلها بمعنى أنه يستأنف بها كلام جديد[٢٧]، فمثلا قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ﴾[٢٨] الواو أعطتنا إشارة إلى انتهاء جملة ربي إني وضعتها أنثى وبداية جملة جديدة ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾.

تلك هي الملامح العامة التي يمكن استنباطها لتفاعل الأدوات باعتبارها مفردة تمثل قسما من أقسام الكلم مع الوظيفة النحوي في بناء الجملة بصفة عامة.

الهوامش:

(١) انظر: النحو والدلالة، دكتور محمد حماسة عبد اللطيف ص٥٣.

(٢) هناك تعليل لتسميتها بحروف الجر من منطلق دلالي وهو تعليل ابن الحاجب حيث يرى أنها تجر معنى الفعل إلى الاسم، أما الرضي فإنه يعلل له من منطلق وظيفي إعرابي حيث يرى أنها سميت بحروف الجر لأنها تعمل إعراب الجر، وهناك من يخرج من هذا الخلاف فيقول حروف الخفض. انظر: شرح الرضي والهمع ٣٣١/١.

(٣) البقرة: ١٨٧.

(٤) الإسراء: ١.

(٥) انظر: ٧٠/١.

(٦) البيت في شرح التصريح ١٧/٢.

(٧) انظر: الهمع ٤٢٣/٢-٤٢٩، وانظر: مغني اللبيب ١١١/١-١١٢.

(٨) شرح السيرافي على كتاب سيبويه ٢٠٣/١.

(٩) الشورى: ١١.

(١٠) انظر: شرح السيرافي على كتاب سيبويه ٢٠٣/١.

(١١) الروم: ٤.

(١٢) انظر: ارتشاف الضرب١٧٢٣/٤.

(١٣) انظر المفصل٢٣٣/٨، الهمع ٤٧٧/٢.

(١٤) انظر: الكتاب ٤٩٦/٣.

(١٥) المفصل: ٢٣٣،٢٣٤/٨.

(١٦) الهمع٤٧٧/٢.

(١٧) انظر: الأصول في النحو لابن السراج ٤٣/١.

(١٨) انظر: السابق ٤٠/١.

(١٩) انظر: السابق٥٤/١ -٥٥.

(٢٠) انظر اللغة العربية معناها ومبناها ص١٢٨.

(٢١) السابق ص١٢٦.

(٢٢) أساليب العطف في القرآن الكريم، دكتور مصطفى حميدة، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ط١، ١٩٩٩، ص٤٥.

(٢٣) شرح الرضي٩١/٤.

(٢٤) انظر: أساليب العطف في القرآن الكريم، دكتور مصطفى حميدة، ص٤٠،٣٩.

(٢٥) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها ص٢٢٥.

(٢٦) شرح المفصل ٢٢/٨.

(٢٧) انظر: من قضايا اللغة، دكتور مصطفى النحاس، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ -١٩٩٥م)، مطبوعات جامعة الكويت ص٢٥٢.

(٢٨) آل عمران: ٣٦.

البلاغة..

جولة في مملكة المفهوم طولاً وعرضًا

د. فريد أمعضشو
كاتب وأكاديمي مغربي

يتضح من تصفُّح معاجم اللغة العربية أن أبرز معاني «البلاغة» فيها هو الانتهاء والوصول. يُقال: «بلغ فلان تلك الغاية بلوغًا وبلاغًا إذا وصل إليها». وبالمعنى نفسِه ورد اللفظ في القرآن الكريم في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ (يوسف: ٢٢). ومبْلغُ الشيء منتهاه. وبلَّغ الرسالة تبليغًا إذا أوْصلها إلى الوجهة المَعْنية. وفي «أساس البلاغة» للزمخشري: «بلغ الرجل بلاغةً فهو بليغ، يحسِنُ إيصال معناه. وتبالَغ في كلامه إذا تعاطى البلاغة وادّعاها، دون أن يكون من أهلها». والواقع أن جانبًا مهمًّا من هذه الدلالة المعجمية يحضر في مفهوم البلاغة الاصطلاحي كذلك، بصورة جليّة، على نحْو ما سنرى فيما يأتي.

لقد قُدِّمت للبلاغة، في الاصطلاح العلمي، تعاريفُ من الوفرة بمكان، قديمًا وحديثا، من قبل العرب وغير العرب؛ ممّا يدل على انشغال العلماء بتحديدها، واحتفالهم بها، وإنْ نظروا إليها نظرات مختلفة أحيانًا عديدة. فهي عند أرسطو طاليس -الذي يعدُّ حسب كثيرين المؤسِّس الفعلي للبلاغة- «حُسْن الاستعارة، وفنّ خطابي يتوسل بالحجج والبراهين للإقناع والتأثير في المُخاطَبين ذهنيا ووُجْدانيا وسلوكيًّالله. ولتُحققَ البلاغة غايتها هذه»، يَشترط فيها أرسطو الانبناء على أربعة عناصر رئيسة، هي: إبداع الحُجج وآليات الإقناع، وتنظيمها، وعرْضها عرْضًا أساسُهُ الفصاحة والبيان والوضوح، وأخيرًا الفعل أو الأداء، مع ما يستلزمه من مُسْتَتبَعات صوتية وحركية وإيمائية وغيرها. ولأرسطو في هذا الإطار الـ Poétique، وRhétorique، وTopiques.

وإذا كان هذا هو مفهوم البلاغة لدى هذا الفيلسوف الإغريقي الأشهر، فإن لها في الثقافات الأخرى معانيَ عدة، ألمَّ ببعضها أبو عثمان الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، في «البيان والتبينُّ»؛ فذكر أن المقصود بالبلاغة لدى الفارسي «معرفة الفصل من الوصل»، ولدى الرومي «حسنُ الاقتضاب عند البداهة، والغزارة يوم الإطالة». وهي لدى الهندي «وُضوح الدلالة، وانتهاز الفرصة، وحُسْن الإشارة... إلخ». ويمكن للقارئ الاطلاع على عدد مهم من تعاريف البلاغة الاصطلاحية في «باب البلاغة» من «عُمدة» ابن رَشِيق القيرواني.

ركَّز علماءُ كُثرٌ في تعريفهم البلاغةَ على مسألة الإيجاز والإطناب، فعَدُّوها مرادِفةَ الإيجاز، أو «جوامع الكَلِم»؛ أي إنها صفة تُلصَق بالكلام ذي اللفظ القليل ولكن من غير إخلال، الدالّ على المعنى الكثير، وقد تُطلق على الكلام المُسْهَب إسهابًا مجْديا وغير ممِلّ. فقد سُئِل بعض البلغاء عن ماهية البلاغة، فأجاب بأنها «قليل يُفهَم، وكثير لا يُسْأم». وقال آخرُ: «البلاغة إجاعة اللفظ، وإشباع المعنى». وسُئِل آخر عن معناها، فقال –مجُيبًا-: «إنها معانٍ كثيرة في ألفاظ قليلة». وقيل لأحدهم: ما البلاغة؟ فأجاب: «إصابة المعنى، وحسن الإيجاز». وقال المفضل الضبيّ: «قلتُ لأعرابي: ما البلاغة عندكم؟ فقال: الإيجاز من غير عجْز، والإطناب من غير خَطَل». وقال معاوية –رضي الله عنه– لعمرو بن العاص: «مَنْ أبلغُ الناس؟ فأجاب: من اقتصر على الإيجاز، وتنكَّب الفُضول». وقال عبد الله بن المعتز: «البلاغة بلوغ المعنى، ولمّا يَطُلْ سَفرُ الكلام».

ونجد بعضَهم يعرّف البلاغة بما لا يبْعُد عن النقطة الأساسية المُركَّز عليها في التعاريف المقدَّمة في هذه الفِقرة، وذلك بوصفها إشارة أو تلميحًا؛ كما في قول خلف الأحمر: «البلاغة لمحة دالّة»، وقول الخليل الفراهيدي: «البلاغة كلمة تكشف عن البقية».

ويلحُّ آخرون في تعريف البلاغة على عنصر السياق أو المقام التخاطُبيّ، مؤكِّدين أنّها وصفٌ لكل خطاب أو كلام يراعي فيه صاحبُه –متكلمًا كان أو كاتبًا– أحوالَ المُخاطَبين وخواصَّهم الذهنية والنفسية والاجتماعية وغيرها، فيرْسله في صورة تناسب هؤلاء، وتضْمن له حصول التجاوُب والاستجابة والتفهُّم. وعلى هذا الأساس، فقد عُرِّفت البلاغة، لدى كثيرين –كالقزويني-، بأنها «مطابَقة الكلام لمُقتضى الحال، مع فصاحتِه». وقال آخر: «البلاغة أن تُفهِم المخاطَبَ بقدْر فهْمه، من غير تعبٍ عليك».

إن البلاغة –كما هو واضح– تستهدف إبلاغَ المتكلم حاجتَه وإيصالهَا إلى المتلقي، ولكنْ في صورةٍ من القول حسنةٍ وبديعة ومفارقة للكلام التقريري المباشر؛ ولذلك، ألْفيْنا جملةً من تعاريف البلاغة تستحضر هذا البعد الفني الجمالي منذ القديم. الأمرُ الذي يتيح للخطاب البليغ التوفيقَ، على نحْوٍ متكامل، بين جانبي اللفظ والمعنى. فهذا عليّ بن عيسى الرُّمّاني المعتزلي (ت ٣٨٦ هـ) يعرِّف البلاغة بأنها «إهداء المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ». وعرّفها آخر بأنها «حسن العبارة، مع صحة الدلالة». وحدّدها أبو هلال العسكري بقوله: «البلاغة كلّ ما تبلغ به المعنى قلبَ السامع، فتمكِّنه في نفسه كتمكُّنه في نفسك، مع صورةٍ مقبولة ومَعْرض حسن». ونصَّتْ تعاريف أخرى على جملة من المقوِّمات التي تحقق جمالية الكلام البليغ، وحسنَ مظهره؛ مِنْ مثل اتساق عناصره وتماسُكها حتى ليغدو ذلك الكلام بمثابة لحمة ذات وحدة عُضوية، ومن مثل توظيفه عددًا من الأساليب الفنية. إذ عرَّفها أحدهم بأنها «القوة على البيان، مع حسن النظام». وعرّفها آخر بالقول: «البلاغة أنْ يكون أول كلامك يدل على آخره، وآخرُه يرتبط بأوّله». وحدَّدَها أبو يعقوب السكاكي بأنها «بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدًّا له اختصاص بتوفية خواصِّ التراكيب حقها، وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها».

وإذا انتقلنا إلى العصر الحديث، فإننا نجد كذلك تعاريف كثيرة حُدِّد بها مفهوم البلاغة، سواء في النقد الغربي أو النقد العربي. وحَسْبُنا، ها هنا، أنْ نورد بعضها فقط ممَّا يتردد في الكتابات الحديثة والمعاصرة، وإنْ كان عددٌ منها واضحَ التأثر بتعريفات القدماء. فقد عرَّفها أحد الدارسين الغربيين بأنها «المَلَكة في أنْ تعْرف كل الأساليب الممكنة لتُقنع السامع في أي موضوع مهما كان». وعرفها آخر بأنها «علم التعبير، ونقد الأساليب». وعرفها جينغ (Ginng) بأنها «فنٌّ تطبيق الكلام المناسب للموضوع أو حاجة القارئ أو السامع».



ويعرُّف محمد عبد القادر أحمد البلاغةَ بأنها «علم يحدِّد القوانين التي تحْكم الأدب، والتي ينبغي أن يتَّبعها الأديب في تنظيم أفكاره وترتيبها، وفي اختيار كلماته والتأليف بينها في نسَق صوتي معين». ويعرِّفها عرفان مطرجي بقوله: «البلاغة هي مطابقة الكلام لما يقتضيه حالُ الخطاب، مع فصاحة ألفاظه، وإذا علمْنا أن المقتضى هو «الاعتبار المناسب»، وأن حال الخطاب هو «المقام»، أصبح التعريف على الشكل التالي: «البلاغة هي مطابقة الكلام للاعتبار المناسب للمقام، مع فصاحة ألفاظه». ويعرفها آخر بأنها «تأدية المعنى الجليل بعبارة صحيحة، لها في النفس أثر خلاَّب، مع ملاءمة كل كلام للمَوْطِن الذي يقال فيه، والأشخاص الذين يخُاطبون به».

بناءً على ما سلف كله، يمكننا صياغة تعريف للبلاغة، يتأسَّس على عناصرَ من التعاريف السابقة، على النحو الآتي: (البلاغة هي إيصال الفكرة أو المعنى إلى المتلقي في مَعْرضٍ كلامي جميل، بهدف إقناعه والتأثير فيه، مع ضرورة مراعاة أحوال هذا المتلقي نفسِه، ومقامات التخاطب حتى يحُقِّق الخطاب مقاصدَه). ذلك بأنّ لكل مقامٍ مقالاً كما قيل قديمًا؛ لذا تجد سياقاتٍ يصلح لها الكلام الموجز، وأخرى تحتاج إلى التفصيل والإطناب، وأخرى تحتِّم على المتكلم استعمال لغة الوضوح والمُباشَرَة.

إن البلاغة إذًا صفة يُوسَم بها اللفظ، كما يوسَم بها المعنى، بل إنها تطال التراكيب أيضًا، أو ما أسمْاه عبد القاهر الجُرْجاني (ت ٤٧١هـ) بـ «النظْم»، وهو مؤلَّف من التحام الألفاظ بمعانيها، ومن التعالق الجدلي بينهما. على أنه لمّا تكون على المستوى اللفظي فحسْبُ فإنها تُدْعى حينذاك «الفصاحة». هذا على رأي من يميِّز بين المفهومين؛ كابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦هـ) في «سر الفصاحة»؛ إذ إنه فرَّق بينهما على أساس أن الفصاحة تخصُّ الألفاظ فقط، وقسَّمها إلى فصاحة الكلمة المفردة وفصاحة الكلام، ولكل منهما شروط يتوقف عليها تحققها. زدْ على ذلك فصاحة المتكلم التي تستوجب -هي الأخرى- جملة من الشروط والمُواصَفات. على حين أن البلاغة عامة في الألفاظ والمعاني؛ كما أكد ابن سنان وآخَرُون. ومن هنا نستنتج أن الكلام لا يكون بليغًا إلا إذا كان فصيحا أيضًا، وأنه قد يكون فصيحَ اللفظ، وهو غيرُ بليغ، إذا لم يسْتوْفِ معناه شروط البلاغة، وإذا لم يناسبْ لفظه السياق المَقول فيه، وحالَ المخاطَب به. ونجد -في المقابل- علماءَ آخرين يستعملون المصطلحين بوصفهما مترادفين؛ كالجوهري (ت ٣٩٣هـ) في «الصحاح»، والعسكري في «الصناعتين».

ويتبينَّ مما تقدَّم أيضًا أن مُعَرِّفي البلاغة اختلفوا في تحديد طبيعتها بين مَنْ يعدُّها علمًا تحكمه ضوابط ونواميس محددة، وبين مَنْ يجعلها فنًّا من فنون القول، وبين من ينظر إليها بوصفها ملكة من الملكات، لا تحصل للمرء إلا بطول المطالعة والمران والاحتكاك بالكلام البليغ في المظانِّ الأدبية، وإلا بعد مدة من الزمن غير قصيرة، بل إن المرء قد يستنفدُ عمره كله دون أن يبلغ تلك المرتبة؛ كما قال حازم القرطاجنيٍّ (ت ٦٨٤هـ) في «منهاج البلغاء»: «وكيف يظنُّ إنسان أن صناعة البلاغة يتأتّى تحصيلها في الزمن القريب، وهي البحرُ الذي لم يصل أحدٌ إلى نهايته، مع استنفاد الأعمار».

ولا مناص من الإشارة ها هنا إلى أن قدماء العرب عبرَّوا، أحيانًا، عن مفهوم البلاغة باسم «البيان»؛ كما عند ابن وهب (ت ٣٣٥هـ) في كتابه «البرهان في وجوه البيان»، وعبرَّوا عنه، أحيانًا أخرى، باصطلاح «البديع»؛ كما عند ابن المعتز (ت ٢٩٦هـ) في كتابه المشهور المُعَنْوَن بهذا اللفظ نفسه، والذي لم يقتصر فيه على تناول مباحث علم البديع التي نعرفها، بل تناول فيه

ألوانًا بلاغية من غير المحُسِّنات البديعية. ومنهم مَنْ أطلق على ذلك المفهوم مصطلح «النقد». يقول بدوي طبانة في كتابه «علم البيان»: «إن المتقدِّمين كانوا يُسمُّون علم البلاغة وتوابعها بعلم نقد الشعر، وصنعة الشعر، ونقد الكلام. وفيه ألّف أبو هلال العسكري كتابًا سمّاه (الصناعتين)، ويعني بذلك النظم والنثر، وألف قُدامة بن جعفر كتابا سمّاه: نقد (الشعر)».

وإذا كان بعضهم يزعم أن البلاغة ارتبطت في نشأتها بالأدب نفسه، إلا أن آخرين يؤكدون أنها نشأت لدى الأغارقة قديمًا، في بيئة خطابية ديمقراطية تتيح هامشًا واسعًا للتعبير الحُرِّ عن الأفكار والمشاعر، تتمثل في الجوِّ الأثيني على عهد بركليس وأضْرَابه. وعرَفت مُنذئذٍ تحولات مهمة، على مختلِف الصُعُد.

ولعل أول مَنْ تناول البلاغة عربيًا، وبحثها بشيء من التفصيل، هو الجاحظ، وإنْ جاءت آراؤه في هذا الإطار متفرقة في كتبه، ولا سيما في «البيان» و«الحيوان»، وغير منسَّقة ولا مقعَّدة، بل كانت بسيطة وفطرية. ويرى الناقد نفسُه أن البيان هو «وضوح الدلالة»، ومعنى ذلك أنْ يتمكَّن المتكلم أو الكاتب من إيصال أفكاره إلى المُخاطَب بطريقة واضحة مُبينة وكاملة، لا نقصَ فيها ولا تشويه ولا تعقيد، بغضِّ الطرْف عن أداته المستعْمَلة في هذا الإيصال، والتي قد تكون إشارة أو رسما أو حالا دالة على صاحبها أو غير ذلك. وتبقى اللغة –منطوقة كانت أو مكتوبة– في نظر الجاحظ، أجْود تلك الأدوات كلها وأرْقاها وأقدرها على الإبانة والإفصاح، إلا أن هذه الأداة قد تصيبها عوارض فتؤثر في درجة بيانها؛ كالعيوب الخِلقية من تأتأة وفأفأة وغيرهما، وكالعيِّ والعجر عن إنتاج الكلام لخللٍ في القدرات العقلية لدى المتكلم.

وقد أسهم في تطوير البلاغة العربية، بعد الجاحظ، ثلةٌ من علمائنا الأفذاذ؛ كابن المعتز في «البديع»، وابن طباطَبا العلوي (ت ٣٢٢هـ) في «عيار الشعر»، وقدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ) في «نقد الشعر»، وأبي هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) في «كتاب الصناعتين»، وأبي بكر الباقلاَّني (ت ٤٠٣هـ)، وابن رشيق (ت ٤٦٣ هـ) في «العمدة في محاسن الشعر وآدابه». فقد ضمَّن هؤلاء كُتبَهم جملةً من مباحث البلاغة وفنونها وأساليبها، تتفاوت كمًّا ونوعًا من مؤلف لآخر، وظلتِ البلاغة عندهم فطرية وغير مقنَّنة ولا منظَّمة على نحو محْكم. أي أنها كانت –كما يقول رحمن غرگان في كتابه «نظرية البيان العربي»– طرق في الأداء الفنيِّ الفطري غير الخاضع للقاعدة أو التقنين، بقدْر صُدوره عن عناصر؛ مِنْ صفاء الذات، وقوة الطبع، ووحدة العاطفة، والانتماء للبيئة، وتوخي التأثير في الآخر من دون أنْ يكون لكل ذلك أسس وقواعد محددة.. إنما التجربة في أثناء الأداء هي التي تجترح عناصرها ومعاييرها».

في هذا المرحلة كانت البلاغة نصًّا فنيًّا، ولم تكن قواعد محددة أو أساليب معلومة، كانت كلامًا صادرًا عن صفاء الطبع، وليس قولا صادرا عن جودة الصنعة. كانت نصوصًا بيانية موصولة بالتعبير عن واقع الناطقين بها، وحال الذين يتنفّسُونها لسانًا واحدًا، ولم تكن بَعْدُ نصوصًا صدر قائلها عن التقليد، أو كاتبُها عن الالتزام بقواعد محددة مستْقاة من تجارب السابقين». (ص ١٣)

ولم تَسْتو البلاغة لدى العرب علمًا ذا قواعد راسخة منظَّمة إلا مع عبد القاهر الجرجاني، في القرن الهجري الخامس. وهو يُعدُّ، فعلاً، المؤسس الحقيقي لهذه البلاغة؛ إذ عمد إلى تقعيدها، وبيان أصولها ومعاييرها، والتنظير لها في كتابيه «أسرار البلاغة» و«دلائل الإعجاز»؛ بحيث عرض نظريته في علم البيان، بوُضوحٍ، في كتابه الأول، ونظريته في علم المعاني في مؤلَّفه الآخَر. وجاء بعده جار الله الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)؛ صاحب «الكشّاف»، فعمِل على توضيح الحدود بين علمي البيان والمعاني، بعدما كانت غير محددة من قبْلُ، وكان ينظر إلى علم البديع بوصفه ذيلاً للعِلمين المتقدمين لا علمًا قائمًا بذاته.



ودخلت البلاغة العربية، بعد الجرجاني والزمخشري، مرحلة أخرى امتازت أساسًا بالجمود والركود، والاحتفال المفرط بالتفريع والتقنين، والسعي إلى التجميع وكتابة الشروح والتلخيصات على مصنفات السابقين.. إنها مرحلة يصفها بعضهم بالانحطاط في تاريخ البلاغة العربية. ومن الأسماء التي تنتمي إلى هذه الفترة الفخر الرازي (ت ٦٠٦ هـــ) صاحب «نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز»، والسكاكي (ت ٦٢٦هـــ) صاحب «مفتاح العلوم»، والخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـــ) صاحب «تلخيص المفتاح».

ويحْسُن بنا أنْ نشير، هنا، إلى أن تقسيم البلاغة إلى علومها الثلاثة المعروفة الآن يُعزى إلى السكاكي. فأما علم البيان –كما يعرِّفه هذا الأخير– فهو «علم يُعرَف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان، ليحترز –بالوقوف على ذلك– عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد». ومن مباحثه الأساسية: الحقيقة والمجاز، والتشبيه، والاستعارة، والكِناية. وأما علمُ المعاني فيتناول مسألة مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وكيفية إيراد المقال بما يناسب المقام حتى يتحقق التواصل والتفاهم بين مرسِل الخطاب ومستقبِله. ولعل من أبرز مباحثه: الخبر والإنشاء، والوصل والفصل، والإيجاز والمساواة والإطناب. وأما علم البديع فيبحث في وجوه تحسين الكلام بعد مراعاة مطابقته لمقتضى الحال، ونقصد هنا ما يُعْرف بـــ«المحسّنات البديعية»، سواء التي يراد بها تحسين اللفظ (مثل الجناس والسجع)، أو التي يُقصد بها إلى تحسين المعنى (مثل: الطباق والاقتباس). وقد اختلف بلاغيُّونا في عدد هذه المحسنات على نحْو واضح؛ إذ هي عند ابن المعتز ثمانية عشر، وعند أبي هلال العسكري خمسة وثلاثون، وعند أسامة بن منقذ (ت ٥٨٤هـــ) خمسة وتسعون ومائتان (٢٩٥).

إن البلاغة العربية تختلف عن البلاغة اليونانية (الرِّيطُوريقا) في عدة جوانب؛ كما وضَّح عبد الفتاح كيليطو في أحد فصول كتابه «الأدب والغرابة». فإذا كانت البلاغة اليونانية قد نشأت وتبلورت في جوٍّ ديمقراطي، مستهدِفةً إبراز قوانين إنتاج الخطاب المؤثِّر والمُقْنِع؛ لأنها كانت ترمي إلى جَعْل الخطيب أو الكاتب متحكِّمًا في آليات إنتاج الخطاب المذكور.. إلا أن البلاغة لدى العرب قامت في بيئة مخالفة عمومًا، وسَعَتْ إلى تبيان قوانين تفسير الخطاب؛ لأنها ارتبطت –في نشوئها– بالنصِّ القرآني، وتوخت خدمته كسائر العلوم العربية، والبرهنة على إعجازه. وإن «اختلاف المقصد يظهر كذلك في التقسيمات المختلفة التي لجأت إليها البلاغتان»؛ كما يؤكد د. كيليطو نفسُه، علمًا بأن عملية التقسيم –في ذاتها– ليست بريئة تمامًا، بل إنها خاضعة للخلفية الفكرية والمعرفية للقائم بها.

وسيعرف تاريخ البلاغة منعطفًا بارزًا منذ أواسط القرن العشرين، مع بيرلمان (Ch. Perelman) وتيتيكا (O. L. Tyteca) وغيرهما من رواد «البلاغة الجديدة» الذين حرَصُوا على ربط البلاغة بالحِجاج ربطًا قويًّا، وتناولوها بمناظيرَ مختلفة، مستفيدين من ثمار التطور الكبير الذي شهدته الحركة النقدية الأدبية خلال القرن الماضي في الغرب خصوصًا.

يقول أحدُ الباحثين المعاصرين مقارنًا هذه البلاغة بالبلاغة الكلاسيكية التي سادت أرداحًا متطاولة من الزمن: «إذا كانت البلاغة التقليدية بلاغة معيارية تعليمية تربط فن البلاغة بالخطابة والإقناع والإمتاع والبيان، فإن البلاغة الجديدة قد تعاملت مع الخطابات النصية المختلفة منذ منتصف القرن العشرين تعاملاً علميًّا وصفيًّا جديدًا ضمن مجموعة من الاتجاهات: لسانية، وأسلوبية، وحِجاجية، وتداوُلية، وسيميائية. وأكثر من هذا، أصبحت للبلاغة اليومَ إمبراطورية واسعة، وامتدادات شاسعة».

ولا يمكن، في حقيقة الأمر، إدراكُ مفهوم البلاغة، وملامسة كُنْهه، ما لم يلمّ الدارس بهذه الامتدادات والحقول المعرفية ذات الصلة الوُثقى بالبلاغة. يقول كيليطو: «إننا عادةً نتكلم عن البلاغة وكأنها شيءٌ واضحُ المعالم، معروضٌ أمامنا ببساطة، وما علينا إلا أنْ نقطف ثمارَه.. هذا تصور ينبغي تصحيحُه. ذلك أن ما يسمى بالبلاغة مغروسٌ في غابة من المعارف والعلوم، وليس من الصواب منهجيًّا دراسة أحد هذه العلوم بمعْزل عن العلوم الأخرى. البلاغة لها ارتباطاتٌ بالنحو والتفسير وعلم الإعجاز وعلم الكلام».

تِلْكُم باختصار إلمامةٌ بمفهوم البلاغة، وبتاريخها ومنعرجاتها الكبرى، وعلى الرغم من كثرة ما كُتب عن البلاغة من دراسات قديمًا وحديثًا، لدى العرب ولدى غيرهم، إلا أنها ما تزال في حاجةٍ إلى مزيدٍ منَ الأبحاث الرامية إلى تناولها من زوايا أخرى، وبمناهج علمية معاصرة أكثر نجاعة وفعالية، وإلى بحْث علاقاتها بحقول أخرى ونحْو ذلك من الموضوعات المهمة جدًّا. ولا بد من أنْ نشير إلى أن البلاغة لا تقتصر على الملفوظ وحده، بل تكون في أبواب وأمور أخرى عدة؛ فقد سُئل ابن المقفع (ت ١٤٢هـ) عن البلاغة قديمًا، فأجاب بأنها «اسمٌ لِمعانٍ تجري في وجوهٍ كثيرة؛ فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون شعرًا، ومنها ما يكون سجعًا، ومنها ما يكون ابتداءً، ومنها ما يكون جوابًا، ومنها ما يكون في الحديث، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون خُطَبًا، ومنها ما يكون رسائلَ؛ فعامَّة هذه الأبواب الوحيُ فيها والإشارة إلى المعنى والإيجاز هو البلاغة».

حتى اللقاء (قصَّة قصيرة)

مروة مدحت

دارسة مصرية

قلعة قايتباي - عدسة: شادي عاطف

تتلاطم أمواج البحر أمامي، وتضرب صخور الشاطئ بقوة، تود تسلّق أسوار تلك القلعة لتصل لأقدامي المتدلية من فوقها.

شعرت قليلاً بالماء يلامسها قطرات منه، لكنها أرسلت معها قشعريرة باردة في أوصالي، نزعتني من أفكاري وشرودي.

أي أفكار تلك وأي شرود؟! لا يمكن أن يخرجني شيء عما بي، بل كل ما يحدث لي دخيل.. هي الأساس، وكل شيء غيرها ثانوي.

من غيرها أدور في فلكه، ويأخذني من حياتي وعالمي؟! فهي العالم والحياة؛ نظرتها، وعفويتها، وحديثها، وضحكتها، ورقتها، وقلبها.

أتذكر أول نظرة، وأول لقاء.. كان هنا، في هذا المكان القديم، في أحضان تلك القلعة: قايتباي.. الإسكندرية.. عروس البحر، وكانت هي عروس القلب.

أول مرة آتي إلى هنا، وحيث إني أهوى التصوير؛ جئت لألتقط بعض الصور للقلعة مع أصدقائي.

لمحَتْها عدسة الكاميرا، فاختارتها لتتعلق بها، كانت مع صديقاتها تضحك وتلهو بطفولة. سرت وراءها، وأخذَت الكاميرا تلتقط لها الصور رغمًا عني، وكأنها تجرني خلفها في أرجاء المكان.

هنا عند السور.. وقفتْ عليه وخلفها البحر، وأمواجه تتلاحق وكأنها تريد أن تلمسها، ولكنها تهرب منها، وتقفز عنه في رشاقة وخفة، وتركض داخل القلعة.. الضوء خافت، ولكني أرى حولها هالة نور، وكأنها تشع وتضيء المكان.

وأنا خلفها، هنا وهناك، والكاميرا تلتقط الصور لها دون وعي مني، كانت أجمل من شموخ القلعة، وأعظم من قدمها.

كنت أنوي تصوير مكان جميل، ولكن وقعت عيني على كائن أشدّ جمالاً ونبضًا.

في نهاية اليوم، جلست أقلب الصور.. ما أروعها! - ليست القلعة - اتجهتُ إليها، واستجمعتُ شجاعتي لأحدثها، رفضتْ وتركتْني، ورحلتْ مع صديقاتها.

لم أفكر إلا في المضي وراءها.. وأصدقائي! تركتُهم يرحلون، وذهبتُ خلفها حتى وصلتْ إلى منزلها. لمحتنيْ حينها، نظرتْ لي وابتسمتْ، وأدارتْ لي ظهرها، واختفتْ في المبنى، ولكن قبلها قالت بصوت مرتفع: لِلّهفي نفس اليوم بالقلعةلِلّه.

بعدها عدتُ للقاهرة - فأنا لست من أهل الإسكندرية - على موعدي معها في الأسبوع القادم.

عدتُ في نفس اليوم والتوقيت إلى القلعة، وجدتُها مع صديقاتها، فاقتربتُ وتحدثت إليها، فأجابتني تلك المرة.

كيف مرَّ اليوم؟! لا أدري!

تحدثنا في كل شيء، وأي شيء، واكتشفتُ كم هي رائعة أيضًا من الداخل؛ رُوح نقية في عالم زائف، وقلب طاهر في دنيا بلا قلب، وزهرة برية في قلب الصحراء.

تجوَّلنا في أرجاء القلعة وهي تحدثني عنها، وعن حبها الشديد لها، وتعلقها بها منذ الصغر، ولكني لم أفهم سر قدومها الدائم إلى هنا.

أما البحر فكانت تخشاه بشدة.

- كيف وأنت من أهل الإسكندرية؟! البحر عشقكم.

- إلا أنا، أخشاه جدًّا، لم أقترب منه يومًا، ولا أريد، أبقى على الشاطئ بعيدًا، ولكني أحب الحضور هنا أكثر من أي شيء آخر. في أحضان تلك القلعة أنا في أحضان حصن منيع، يقيني من البحر الغدار الذي يريد التهامي، أحتمي هنا منه؛ فأسوار القلعة عالية، مثلما كانت حصنًا يومًا لقائدها فهي حصني أيضًا من البحر.

كانت تلك كلماتها.. تعجبت منها كثيرًا، ولم يزدني هذا إلا إعجابًا بها! فنحن دائما نهوى ما لا نعرفه، أصبحت أهوى غموضها، ورغبت في أن أكون أنا الحصن لا القلعة.

حان الرحيل، واتفقنا على نفس اليوم في القلعة، وأصبح هذا الموعد ثابتًا.

ورغم انشغالي بالعمل كان عليَّ دومًا السفر للإسكندرية كل أسبوع في نفس اليوم دون تغيير. كنت أعتذر عن كل شيء، وأي ارتباط خاص بالعائلة والأصدقاء في هذا اليوم؛ حتى إن شقيقتي اضطرت لتغيير موعد زفافها لعدم استطاعتي الحضور؛ فعليَّ أن أكون في الإسكندرية لأقابلها، فمهما كان حالي، مريض.. متعب.. مرهق.. لابد من لقائها.

طلبتُ منها إحدى المرات أن نرتبط بشكل رسمي، ووافقتْ، وتعرفتُ إلى أهلها، وحينما تطرقنا لمكان السكن رفضتْ بشدة الرحيل عن الإسكندرية.

- سأبقي هنا.

- ولكن عملي، ومنزلنا، وكل شيء هناك بالقاهرة.

- يمكنك أن تأتي كما تأتي.

- لكن الزواج أمر آخر.

- لننقل كل شيء إلى هنا إذن.

- ولم لا يحدث العكس؟ ونأتي معًا كل أسبوع كما كنتُ أفعل.

- لن أرحل.. لا أستطيع.

- ولكن لــمَهْ؟

- لن تفهم، ولن تصدقني.

ويا ليتني صدقت كلامها وما أجبرتها على الرحيل يوما، يا لي من مغفل أحمق!

أحيانًا.. لا نريد أن نرى أو نسمع أو نصدق ما هو غير منطقي، وما يكون من شيء لا نستطيع تخيله، فلا يمكن أن يكون له وجود أبدًا.

وهي لم تكن منطقية بالمرة، وما كانت تقوله لا يصدق أبدًا، كيف لعقلي الضئيل أمامها، وأمام طفولتها تلك وعفويتها أن يستوعب ما كان بها أو ما كان يدور في عقلها منذ أدركَت حالها ومصيرها؟! المصير الذي تقبلته عن رضًا غير عادي أبدًا.

أن تعرف يومًا مصيرك وقدرك وترضى بقضاء الله، فهذا لا يأتي إلا من قلب طاهر مليء بالحب والنقاء..

أن تعلم نهايتك وتقدم عليها لترُضي من تحب، حتى وإن كان المصير النهاية وكأنك تقدم على الانتحار!

لم أصدقها، وأصررتُ على المعيشة في القاهرة، وأنها إذا لم تفعل فهي بهذا لا تحبني، قالت: «نهايتي بالخروج من هنا».

- ماذا تقولين؟!

- نعم، البحر سيبلعني، ما دمت خارج أسوار القلعة، وخارج نطاقها، إنه يناديني دوما، ولكن القلعة تحميني، وتبعده عني، وبرحيلي عن هنا سيأخذني، إنه يريدني.

«سخافة»..

هذا ما قلتُ لها عندما قالت ذلك، وما أسخفني أنا لقولي ذلك، وعدم الاهتمام بكلامها ومشاعرها!

ولكن ما حدث في اليوم الذي قررتْ السفر فيه للقاهرة كان بمثابة الضربة القاصمة لي، ولسخافتي معها.

كانت تستعد للرحيل وهي مؤمنة بأن ما قُدِّر لها سيحدث إن عاجلاً أو آجلاً، وبما أن هذا سيكون في سبيل حبها، فسيكون في مقابل شيء ثمين، ولا يكون هباءً أبدًا.

«كنت أنتظر الوقت المناسب للرحيل، وأعتقد أن الآن أفضل وقت، في سبيلك لن يكون الرحيل بلا معنى».

كانت كلماتها الأخيرة لي في الهاتف، وإن كنت لم أفهمها.. إلا بعد رحيلها.

استعدَّت للرحيل، والبحر لم يمهلها، لم يتركها للذهاببعيدًا عن شواطئه، كانت دائمًا حوله، ورفض رحيلها بعيدًا عنه.

ومن أمام منزلها استقلت سيارتها أمام الكورنيش مباشرة، وبعد أن سارت بها قليلا في اتجاهها للمغادرة، وبعد أقل من كيلو متر واحد عن منزلها، كانت الحادثة المروعة، وفي يوم من أيام النوة القوية الشديدة العاصفة، والتي تصل فيها الأمواج حتى منتصف الشارع وتغرقه، فإذا بشاحنة عملاقة تنحرف عن الطريق وعن الرصيف، وتخترق الشارع لتصطدم بسيارتها في قوة، وتقذف بها حتى سور الشاطئ الذي تحطم إثر الاصطدام، وتدحرجت سيارتها إلى ما بعد ذلك السور، وجاءت الأمواج قوية عاصفة عنيفة، وسحبت السيارة معها بقوة، وفي غضون ثوان اختفت السيارة، واختفت حبيبتي.. عروس البحر، وعروس القلب!

يا ليتها لم تحاول إثبات حبها لي! ويا ليتني صدقتها!

لكنها قدمت نفسها للموت عن طيب خاطر؛ لأنها تحبني، ولو كنت أحبها حقا لفهمتُ واستوعبتُ، ولكن أحيانًا تكون هناك أشياء أغرب من أن يصدقها عقل، أو يستوعبها إنسان.

وهذه كانت حبيبتي.. أغرب وأجمل فتاة على وجه الأرض.

أجلس هنا في اليوم نفسه من كل أسبوع.

عذرًا أيتها القلعة، كنت أتمنى أن أكون حصنها لا أنتِ، لكني فرطتُ فيها عندما حاولتْ الاحتماء بي، ولأنها تعلم أني لن أحميها قدمت نفسها للموت طوعًا!

كنتِ دومًا وأبدًا أيتها القلعة الحصن، والآن بقيت أنا وحدي أحيا على أيام قضيناها معا.. هنا.. كلها هنا..

لم يكن يومًا مكانا آخر.. وكنت أرى دوما القلعة وكأني أراها لأول مرة؛ لأني معها.

كنت أراها دوما كأول مرة؛ تجري هنا وهناك، وتضحك، وتجوب أرجاء المكان.

ولم يتبق سوى صورها هنا، أقلِّبها واحدة تلو الأخرى؛ لأشعر بها معي.. أسمع ضحكاتها وصوتها؛ لأراها أمامي.

وأنت أيها البحر، هل هدأتَ الآن؟! ألا يمكن أن تأخذني أنا أيضًا، ونكون في أحضانك معا؟!

ترد عليَّ أمواجه، في هدوء تبتعد عني، ولا تلمسني وكأنها تخبرني برفضها، وبأن عروسي كانت له في الأصل، وأنه أخذها كما كان يريد،

انتصر علي؟! احتضنها بدلا مني؟! فاز بها عني؟! إنه يغيظني، ويخبرني أنه الأقوى، ولن يكون أبدًا غيره.

فما أفعل أنا؟! ما كنت يومًا أستحقها لأني خذلتها، وعقابي أن آتي هنا مهما كان حالي من مرض وألم ووجع في اليوم نفسه لتلك القلعة، وعلى تلك الأسوار.. أجلس، وأنظر إلى البحر وأرى وجهها بين أمواجه، وأشتاق إليها حتى اللقاء..

حتى آخر العمر.

منزع قصصي
في قصائد قديمة (١)

د. صلاح حفني
أكاديمي مصري

يتناول هذا المقال ملمحًا جماليًّا من ملامح شعرنا القديم، يتمثل في التصوير القصصي، نعرض له في النقاط الآتية:

- أوجه التلاقي بين الشعر والقصة:

تتماس القصة مع الشعر في عدة مناحٍ، أبرزها الإيجاز، والتكثيف، والاعتماد على الإيحاء، واستبطان الذات، والتقاط الومضة، فالقصة القصيرة لا تعدو لقطة مركزة لمشهد من مشاهد عديدة، أو لحدث من أحداث شتى[١].

- وجود عناصر قصصية في كثير من شعر القدماء:

لم يخل الشعر العربي علي مدى مراحله من العنصر القصصي، نلمس ذلك في الشعر الجاهلي، وما تبعه من شعر عبر العصور، فهناك ملامح قصصية في بعض قصائد امرئ القيس، وكذلك شعر عمر بن أبي ربيعة، الذي تشهد رائيته الشهيرة على تطور هذا الجانب القصصي في الشعر العربي، والتي يستهلها بقوله:

أَمِنْ آلِ نُعْمٍ أَنْتَ غَادٍ فَمُبْكِرُ
غَداةَ غَدٍ أَمْ رَائِحٌ فَمُهَجِّرُ

وهناك أمثلة أخرى كثيرة من شعر الأعشى، وعروة بن الورد، والحطيئة، ودريد بن الصمة، وغيرهم، تبدو فيها ملامح القصة على تفاوت فيما بينهم، ودون أن تبلغ النضج الفني الذي بلغته في شعرنا المعاصر، وفي زمننا الراهن الذي تداخلت فيه الأشكال، وتمازجت الأجناس حتى غدا مصطلح (الآداب عبر النوعية)، يحظى باهتمام موفور من الأبحاث والندوات الأدبية، فالمبدع «يتحرك داخل مفهوم الأدبية في إنتاج نصه، حيث لا علامات لغوية شكلية، وإنما رؤية جمالية للعالم تصيب في اعتياديته، واللغة في معياريتها. أما وصف النص المبدع جنسيا فيظل رهينة إنتاج هذا النص لمعناه، وهو إنتاج يتحقق على الطرف الآخر من الاتصال الأدبي، أي حيث يوجد المتلقي.

إن طبيعة المعنى النصي الناتج عن فعالية المتلقي -وحدها- بإمكانها أن تحدد جنسية النص الأدبي، هل هي درامية؟ أم سردية ؟ أم غنائية؟ أم أنها من طبيعة عبر جنسية»[٢].

-المزايا الجمالية والثراء الفني لهذا التلاقي:

ومهما يكن من اختلاف حول هذه القضية فإن ما يعنينا -هنا- أن العنصر القصصي في القصيدة الشعرية يضفي



عليها طاقات إيحائية، وإمكانات دلالية، وجمالية لا تُنكر، وقد حدد الدكتور محمد غنيمي هلال تلك القيم فيما يأتي:

١- أن العنصر القصصي يتوافر فيه الإيحاء.

٢- تكتسب به العواطف الذاتية مظهر الموضوعية.

٣- أن العنصر القصصي لا يتفق بطبعه مع النغمة الخطابية التي قد توجد في الشعر الغنائي غير القصصي، فتضعف من قوته.

٤- أن الطابع القصصي يضفي علي الشعر الوجداني الوحدة العضوية.

٥- في الشعر ذي الطابع القصصي تظهر الأفكار والأحاسيس صورا تحليلية للموقف، ينمو الموقف بنمائها، وتظهر وحداتها في ظلالها[٣].

فالقصيدة في النقد الحديث بنية حية متماسكة الأجزاء، وهي شيء كامل وتام، ولا مرية في أن العنصر القصصي يسهم بدور فعال في تحقيق هذه الرؤية بحيث تغدو أكثر فاعلية، وتأثيرًا، وجذبًا.

-الملامح القصصية:

ومن يستعرض يجد في بعض نصوص شعرنا القديم هذا الطابع القصصي، ومن نماذج ذلك قصيدة قيس بن العيزارة التي يقول فيها:

لعَمْرُكَ أَنْسَى رَوْعَتي يــومَ أَقْتُد
وهل تَتْرُكَنْ نفسَ الأسير الروائعُ

غداةَ تَنَاجَوْا ثُمَّ قَامُوا فَأَجمَعُوا
بقتليَ سُلْكَى ليــس فيها تَنَــازُعُ

وقالوا: عدوٌّ مُسْرفٌ في دمائكم
وهاجٍ لأعراضِ العشيرةِ قاطــعُ

فسكَّنْتُهم بالقــول حتَّى كأنَّهمْ
بواقرُ جُلْــحٌ أسْكَنَتْهَا المراتــعُ

وقلتُ لهم: شاءٌ رغيبٌ وجاملٌ
وكُلُّكُمُ من ذلك المال شـــابعُ

وقالوا: لنا البلهاءُ أَوَّل سُؤْلَةٍ
وأعراسُها، واللّه عنيٍّ يدافعُ

وقد أَمَرَتْ بي ربَّتِى أُمُّ جُنْدُبٍ
لأُقتلَ لا يسمع بذلك ســامعُ

تقول: اقتلوا قيسًا وحُزُّوا لسانَه
بحسبِهِمُ أنْ يقطعَ الرأسَ قاطعُ

ويأمر بي شُعْــلٌ لأُقْتَل مَقْتَلاً
فقلتُ لِشُعْلٍ: بِئْسَمَا أَنْتَ شَافِعُ

....
....

وقال نســاءٌ: لو قُتِلْتَ لَسَاءَنَا
سواكن ذو الشجو الذي أنا فاجعُ

رجالٌ ونسوانٌ بأكنــافِ رايةٍ
إلى حُثُنٍ ثَمَّ العيونُ الدوامعُ[٤]

فهذه قصة قصيرة تكاد تكون مكتملة الأركان بمفهوم القصة القديم؛ إذ تشتمل على الحدث، وتحديد المكان «أَقْتُد»، والزمان «الغداة»، والأشخاص: «الأسير، وأم جندب، وتأبط شرا، والآسرين».

ويبدأ الحدث بتجلي المأساة في أن الأسير قد سمع نجوى القوم، وهم يجمعون رأيهم على قتله، وقد جاء هذا الإجماع مدموغا بالحجة القاطعة التي لا تُدفع، والبرهان الساطع الذي لا يحُجب؛ فهذا الأسير قد أسرف في سفك دمائهم، وهتك أعراضهم، وقطع أرحامهم.

فماذا يفعل الأسير تلقاء هذا الموقف؟ وقد حمَّ وقع الأحداث، لم يجد أمامه سوى التلويح بإغراء المال وسطوته؛ لافتداء نفسه. وتبدو له بارقة الأمل، كما يبدو للمشاهد أن الصراع بدأ يتلاشى، وأن القصة قد اقتربت من لحظة التنوير؛ فالقوم بدا منهم الرضوخ لشهوة المال،

والتراجع عن عزمهم على الانتقام، والثأر، ومالوا إلى قبول هذا الافتداء، وهاهم يساومونه على الفدية، بل على أحب ماله إليه «البلهاء وأعراسها». والبلهاء: ناقة كريمة نجيبة فارهة عنده، وأعراسها أي أصحابها، أو أولادها.

بيد أن شخصية أخرى تظهر على مسرح الأحداث، والقضية وشك الانفراج، تعلن رفضها لهذا العرض؛ لتتأزم الأحداث مرة أخرى، وتتصاعد إلى ذروتها حيث تطلب من القوم عدم التراجع عن قتل الأسير، بل الإمعان في تقتيله، وهكذا تلوح النهاية المأسوية، ويزداد الموقف قتامة بمشايعة تأبط شرًّا «شعل» هذه المرأة، وموافقتها على ما ذهبت إليه.

ويلاحظ على هذه القصيدة ما يأتي :

١- تعدد الأصوات فيها، وتنوعها، فهناك أكثر من صوت، كما توزعت الأصوات بين الرجال والنساء، وقد أسهم هذا التعدد وذلك التنوع في نمو الحدث وبنائه، عبر تحاور الشخصيات وتصارعها.

٢- توافر عنصر المفاجأة، كما اتضح من عرض الحدث؛ ففي لحظة التنوير التي كرب القوم فيها أن يقبلوا الافتداء، يباغتنا صوت مخالف يبدد هذه النهاية السارة التي أوشكت على التحقق، وينتقل بها إلى الضد تمامًا.

كما نجد عنصر المفاجأة مرة أخرى عندما شايع «تأبط شرًّا» رأي المرأة في قتل الأسير، وكان الأسير -فيما يبدو- يأمل في مناصرته «فقلت لشعل: بئسما أنت شافع».

وعنصر المفاجأة في القصة يؤدي إلى تجديد النشاط، ودفع الملل، وإثارة التشوق، وطلب المزيد من التعرف،والتشويق «هو الذي يجعل القصة عملاً فنيًّا مقروءًا، ويجعل المسرحية عملاً مشاهدًا ممتعًا، ولا ينحصر في عنصر من عناصر البناء الفني، بل يجب أن يحرص الكاتب على بثه في كل المكونات: العنوان، والشخصيات، والمواقف، وصياغة الحوار، والخاتمة»[٥].

٣- يثير الشاعر في بنائه لقصيدته القصصية الدهش في تناقله من مكان إلى آخر، حيث ينتقل من المكان الذي أسر فيه «أقتد» إلى مواطن أهله وعشيرته «راية»، و«حتن» وهو في هذا أقرب ما يكون إلى تقنية تيار الوعي؛ حيث عمَّق بهذه النقلة النفسية أبعاد الحدث، وأضاف إليه دلالات إيحائية أخرى، ففي الأرض التي أسر فيها تريد «أم جندب» قتله والانتقام منه؛ كي تشفي غليلها لكن على الطرف الآخر في دياره، هناك نسوة يذرفن الدموع عليه؛ خوفًا وإشفاقًا من قتله.

٤- بدت من القصة الأبعاد النفسية والملامح المعنوية لشخصياتها؛ فشخصية الأسير تتوجس خيفة، وتتلهف لسماع ما يدور بشأنها، وما يُدبَّر لها، ومن ثم تسترق السمع لنجوى القوم، ومع ذلك فهي شخصية متماسكة، رابطة الجأش، تحتال لأمرها، وتواجه مصيرها، وخصمها بشجاعة.

وجاءت شخصية المرأة «أم جندب» متسمة بالقسوة والغلظة، وحرية الرأي واستقلاليته، في مواجهة آراء الرجال، مما يعطي انطباعًا إيجابيًّا بمكانة المرأة وقتئذ، ودورها المؤثر في المواقف العصيبة، كما اتصفت بالدهاء؛ حيث أشارت عليهم بقتله سرًّا، «فلا يسمع بذلك سامع».

كما بدا من خلال القصة جشع القوم الذين أسروه، وحبهم المفرط للمال، وتقبلهم لسماع رأي المرأة، والأخذ به، وقد أظهر النص -أيضًا- مدى ترابط الأهل وتعاطفهم مع الأسير، وتخوفهم من قتله.

الهوامش:

(١) يذكر الدكتور عز الدين إسماعيل أن «صفة التركيز أساسية في القصة... ويبلغ التركيز حد أنه لا يستخدم لفظة واحدة يمكن الاستغناء عنها، أو يمكن أن يستبدل بها غيرها، فلكل لفظة تكون موحية، ويكون لها دورها تمامًا كما هو الشأن في الشعر». عز الدين إسماعيل: الأدب وفنونه: دراسة ونقد، صـ١٥٠.

(٢) محمد فكري الجزار: فقه الاختلاف، مقدمة تأسيسية في نظرية الأدب، صـ١٤٧.

(٣) انظر : محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، ص ٤٥٤.

(٤) ديوان الهذليين، القسم الثالث، ص ٧٦.

(٥) محمد حسن عبدالله: قصص الأطفال، ومسرحهم، صـ ٥٤.



قراءة في المقدمات المنهجية (١)

شريف حتيتة الصافي
أكاديمي مصري

تهدف هذه المقالة إلى الوقوف على أهم مظاهر التباين والاتفاق في منهج نقد فكرة الاستشراق لدى كل من الأستاذ (محمود شاكر ١٩٠٩ – ١٩٩٧م) والناقد الفلسطيني (إدوارد سعيد ١٩٣٥- ٢٠٠٣م)، ولعل القارئ لا حاجة لديه إلى التعريف بهما، فكلاهما علمٌ في ميدان الثقافة والمعرفة، وإنْ كان الأخير قد ذاع صيتُه، وانتشرت أفكاره على نحو أوسع، وذلك لانتمائه إلى ثقافتين؛ الأولى العربية بوصفه مناضلاً فلسطينيًا هاجر من أجل قضيته، مسوِّقًا لها في بلاد الغرب، والثانية الغربية بوصفه حاصلاً على الجنسية الأمريكية، كاتبًا باللغة الإنجليزية عيونَ ما أنتج من فكرٍ وإبداعٍ ونقد.

إن مشروعية إجراء مقارنة بين رؤية الرجلين تأتي من أمرين؛ أولهما: أن كليهما صاحب مشروعٍ في نقد الاستشراق، وتشريح العقلية الغربية، واتخاذ موقفٍ منها، فأفكار الأستاذ شاكر المعروضة في كتاباته وجدت طريقها إلى عقولِ شباب الأمة ووجدانهم (بصرف النظر عن ملابسات تلبُّس هذه الأفكار بوجدانهم وحيثياته)، كذلك فإن كتاب «الاستشراق. المفاهيم الغربية للشرق» لإدوارد سعيد أصبح مرجعًا رئيسًا لكل من يقصد قراءة الفكر الغربي بوجه عام، وفكرة الاستشراق على وجه الخصوص، بصرف النظر كذلك عن مخاطبة أفكار هذا الكتاب (مطلق العقل) – إن صح التعبير – فقد خاطب العقل الغربي قبل العربي، ولعلَّ القارئ على علم بأنه نُشِر أول ما نُشِر بالإنجليزية[1].

وأما الأمر الآخر: هو أن كلا الرجلين مارس الإبداع والنقد على حدٍّ سواء، فالأستاذ محمود شاكر شاعرٌ وكاتبٌ وناقدٌ، كذلك كان إدوارد سعيد، ولا يخفى الأثر الذي يخلفه وجود هذه الصفات في الشخصية؛ فهذه الصفات تسهم في تحديد زوايا خاصة ودقيقة لتناول الأمور، وتخلِّفُ رهافةً في الفكر والشعور، مما يجعل إنتاجهَم يحمل بصمتهم الخاصة جدًا، ويجعله موسومًا بميسم الطرافة والجدة والتفرُّد.

إن المتتبع لفكرة الاستشراق عند كليهما في كتاب سعيد السابق، أو في للـهرسالة في الطريق إلى ثقافتناللـه للأستاذ محمود شاكر، يجد أن الأستاذ شاكر يرى أن ظهور الاستشراق يعود إلى أن دخول أرضٍ الإسلام استعصى على الغرب المسيحي واستعلى قرونًا على حد تعبيره، ومن ثَمَّ كان طريق الاستشراق هي الآلية البديلة للدخول، وبناءً على هذه الفكرة يتضح أن الأستاذ محمود شاكر ينطلق من ثنائية (الإسلام – المسيحية)،



لذلك فهو مرتبطٌ عنده بالتبشير الذي تناول أبعاده في كتابه «أباطيل وأسمار». بينما ينطلق إدوارد سعيد من ثنائية (الشرق والغرب)، حتى مع إشارته في أكثر من موضع إلى ما يشي بخصوصية «الشرق الأدنى»، أي بلاد العرب والمسلمين، إذ يقول: «الاستشراق أسلوب تفكير يقوم على التمييز الوجودي والمعرفي بين ما يُسمَّى «الشرق» وبين ما يُسمَّى (في معظم الأحيان) الغرب»[٢].

إن ملمحًا مهمًّا يُعدُّ أساسًا فارقًا في النظرة إلى الاستشراق عند الرجلين؛ فمحمود شاكر يتعامل مع معنى الاستشراق على أنه جهدٌ عمليٌّ يرتبط بثنائية «التبشير» و«الاستعمار»، ومن ثم فهي حلقاتٌ ثلاثٌ تُفضي إحداها إلى الأخرى، وبناءً عليه فإنها مهمة تنفيذية اتحد الغربُ المسيحي كلُّه من أجل إنجازها، لكن الأمر يبدو مختلفًا عند إدوارد سعيد، فهو ينطلق من كون الاستشراق خطابًا، مستفيدًا في ذلك – كما يذكر – من كتاب «علم آثار المعرفة»[٣] لميشيل فوكو، حيث يقول: «إننا إن لم نفحص الاستشراق باعتباره لونًا من ألوان «الخطاب» فلن نتمكن مطلقًا من تفهُّم المبحث البالغ الانتظام الذي مكَّن الثقافة الأوروبية من تدبير أمور الشرق»[٤].

وفي سياق فكرة الخطاب ذاتها فإن إدوارد سعيد يستدرك قائلاً: «وليس معنى هذا أن الاستشراق هو الذي يحدد من جانبٍ واحدٍ ما يمُكِنُ أن يُقالَ عن الشرق»[٥]. إن إدوارد سعيد ينفُذ إلى ميكانيكية الدرس الاستشراقي – إن صح الوصف، فقد انطلق ليؤكد أن الحديث عن الاستشراق هو في حقيقته حديثٌ عن مشروعات ثقافية، ولذلك فالارتباط الفرنسي البريطاني بالشرق يختلف من وجهة نظره عن ارتباطه بأية دولة أخرى أوروبية أو أمريكية.

وبالعودة إلى ما عُرض في سياق هذه الفكرة، من أن محمود شاكر رأى أن الاستشراق فكرة تنفيذية نفذها الغربُ المسيحي مجتمعًا، فإننا سنجده يحدثنا عن «المسيحية الشمالية» في مقابل «دار الإسلام»، وهذا محورٌ مفصلي ومنهجي في التفرقة بين تناول الرجلين، ولا يجب – بالطبع – أن نغفل مسيحية إدوارد سعيد وأثرها في تناوله للاستشراق، كما سيتبين في مواضع قادمة.

يُشير الأستاذ محمود شاكر إلى أن المهمَّة انتهت، وإن بقي أثرها إلى يومنا هذا – على حدِّ تعبيره – وذلك بما انتهى المستشرقون إليه من جمع ما جمعوه من كتب بالشراء أو السرقة، كما يذكر، والأمر عند إدوارد سعيد مختلف؛ فثنائية الشرق والغرب لديه ثنائيةٌ أبدية ستبقى ما بقي هذا العالم، وما بقيت سطوة الغرب، فهذه الثنائية هي العمود الفقري لفكرة الاستشراق، فالفكرة ستبقى ويُروَّج لها بالجوانب التطبيقية لها، لا لشيء إلا لتثبت تفوُّقَ الغرب على الشرق، ومن ثَمَّ فإن عمل الاستشراق لن يتوقف لأنه يخدم تلك الثنائية، كذلك فإن هذه الثنائية تعتمد على المراوغة أسلوبًا من أجل البقاء، حيث يذكر إدوارد سعيد أن المتخصصين في باب الاستشراق باتوا يفضلون استخدام مصطلح «الدراسات الشرقية» أو مصطلح «دراسات المناطق»، ويقدمِّ سببين لهذا التحول؛ الأول: اتسامه بقدر أكبر من الغموض والتعميم. والثاني: أنه يحمل دلالة الاستعلاء. وإن لم يوضِّح إدوارد سعيد على من الاستعلاء، لكنه يعني – بالطبع – الاستعلاء على الآخر المدروس أو بالأحرى الآخر المجهول أو بأكثر تحريًّا الآخر الذي أُريد له أن يكون مجهولاً.

أمرٌ آخر يعكسُ فرقًا جوهريًّا في التناول لدى كل منهما؛ فإدوارد سعيد يرى أن فكرة الشرق مصنوعةٌ؛ حيث إن المستشرقين أرادوا رسم صورة الشرق على نحوٍ مُرْضٍ للعقلية الغربية المتحفِّزة للهيمنة والسيطرة، أو على الأقل تأكيد صورةٍ ما في عقلية الغربي، حيث يقول: «لم يكن سبب اكتشاف الشرق للصورة التي رُسِمَ بها يقتصر على أنّ مَن رسموه اكتشفوا أنه يمكن أن يصبح «شرقيًّا» بالصورة الشائعة لدى الأوروبيين العاديين في القرن التاسع عشر، ولكنه يتجاوزه إلى اكتشاف إمكان جعله كذلك، أي إخضاعه لتلك الصورة الجديدة للشرق»[٦]. ويعلل سعيد ذلك بأن هذه الصورة المصنوعة التي أنتجت ثنائية (الشرق – الغرب)



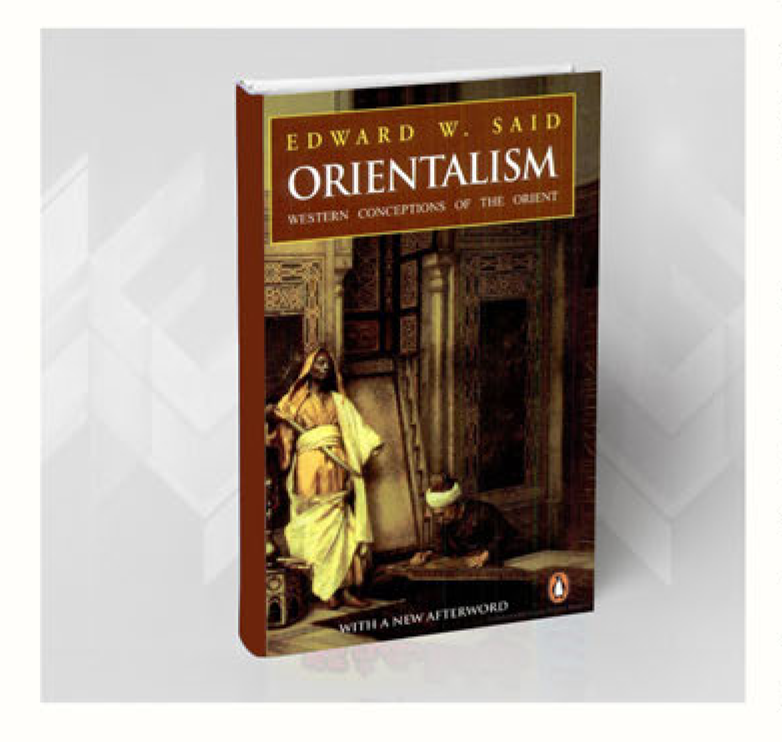
نابعة من أن «العلاقة بين الغرب والشرق علاقة قوة، وسيطرة، ودرجات متفاوتة من الهيمنة المركَّبة»(٧).

لكنَّ الأمر عند الأستاذ شاكر يبدو مختلفًا تمامًا، حتى مع حصره لفكرة الشرق في «ديار الإسلام»، فهو جعل المستشرقين نقَلة لتلك الصورة للشرق (ديار الإسلام) للعالم المسيحي، متمثِّلة في نقل تلك المخطوطات بما فيها عن حضارة الإسلام، وقد عكفوا على تحقيقها ونشرها، وأنشأوا لذلك مجلات تنشر ما يتوصلون إليه لفهم «أسرار هذا العالم الغريب الذي كان بالأمس ممتنعًا على الاختراق قرونًا طوالاً»(٨). ومن ثَمَّ فغيرُ خافٍ ما بين الرؤيتين من بَوْن، لا يتمثَّل فقط في الشمولية التي تتسم بها رؤية إدوارد سعيد، ولكنه كذلك في أصل الفكرة لدى كليهما.

غير أنهما اتفقا في هذا الصدد على أمر؛ ألا وهو أن المستشرقين (سواء بفهم إدوارد سعيد أو بفهم الأستاذ شاكر) قد غرروا بالقارئ الأوربي، وجعلوه ألعوبةً يحركونها بأفكارهم نحو ما شاءوا، فمستشرق إدوارد سعيد جعل قارئه الأوروبي يرى الشرق بالصورة التي تحكيها عنه الأساطير، أو بصورة أخرى مصنوعة، وكلتا الصورتين تحقق له الهيمنة والغلبة، التي هي تضخُّم الذات الغربية، كذلك فإن مستشرق محمود شاكر جعل قارئه الأوروبي يثق في كل ما يقوله له، ولم لا؟ وهو الذي يعرف عن أولئك قرآنَهم ولغتَهم وتاريخَهم وفقهَهم وأدبَهم ... إلخ، حتى إذا قال له ما ليس بحقيقة فما عساه إلا أن يصدِّق ما يُقال.

غير أن هذا الاتفاق السابق يتولَّد عنه افتراق لا يلتقيان بعده أبدًا، وكلٌّ منهما يؤسس منهجه من هذه النقطة التي افترقا فيها، فالأستاذ محمود شاكر يرى أن كتب الاستشراق مكتوبة للمثقف الأوروبي وحده، فيقول: «وبينٌ لك الآن بلا خفاء أن كتب «الاستشراق» ومقالاته ودراساته كلها، مكتوبة أصلا للمثقف الأوربي وحده لا لغيره -وأنها كُتبت له لهدف معين، في زمان معين، وبأسلوبٍ معين، لا يُرادُ به الوصول إلى الحقيقة المجرَّدة، بل الوصول الموفق إلى حماية عقل الأوروبي....»(٩). كذلك فإنها (من وجهة نظره) غير جديرة باحترام مثقف غير أوربي، أي من أبناء العرب والمسلمين خاصة، أي أبناء لغة العرب وأبناء دين الإسلام، أو هي موضع نظر على حدِّ تعبيره(١٠). وانطلاقًا من هذه الفكرة يأخذ الأستاذ محمود شاكر في غرس أعمدة الأضواء الحمراء وإشارات التحذيرات في طريق شُداة الثقافة من العرب والمسلمين إلى أن ينتهي في رسالته بقضية التفريغ الثقافي الذي أصاب الأمة، ولا شك أن كل ضوء أحمر أشعله يستأهل التوقف أمامه بالفحص والدراسة وليس هذا موضعه الآن.







غير أن هذه النقطة ذاتها؛ أي: إلى من يتوجه خطاب الاستشراق؟ جعلت إدوارد سعيد يؤسس مشروعًا نقديًّا كبيرًا ومهمًّا، فهو يرى أن كتب الاستشراق وما تحمله من أفكار لا تخاطب فقط المثقف الأوروبي، بل هي معنية بالأساس بمخاطبة الشرقي بأفكارٍ عنه هو، لتجعله يحيا في حالة من التوهُّم بحقيقة هذه الأفكار، فقد تناول سعيد ذلك تحت ما سمَّاه (الجغرافيا الخيالية وصورها / إضفاء الصفات الشرقية على الشرقي)[١١] فكثيرٌ من الأفكار حول الشرق وصفاته خُوطِبَ بها عقل الإنسان الشرقي قبل عقل الغربي، حتى وإن لم يربطها بالحقيقة سبب، وإنما هي من صنع الإيهام بوجود الشيء أو الصفة أو الفكرة، وينطلق في ذلك من معتقده بأن «بعض الأشياء المميزة من صنع الذهن وإن هذه الأشياء التي يبدو لها وجود موضوعي، ليست في الواقع إلا أوهامًا»[١٢]. وفي ضوء هذا التصور فقد رأى أن جُلَّ الأفكار المسلّم بها عن الشرق لدى الشرقي هي في حقيقتها من مخلفات الاستعمار، وأصبح من الضروري أن نقوم بنقدها، وتقويضها، وفضح ملابسات نشأتها، كل هذا جعله يؤسس لمشروعه النقدي المعروف بـ «نقد ما بعد الاستعمار Postcolonial criticism»، الذي تُويع في دوائر نقدية عديدة، غربية وعربية.

إلى هنا نكون قد وقفنا على معالم أولية للإطار أو القالب الذي ستتحرك فيه أفكار الرَّجلَينْ تجاه الاستشراق، على أن يكون التوقف أمام تلك الأفكار في مقالات قادمةٍ بمشيئة الله، والله من وراء القصد.

الهوامش:

(١) ظهر كتاب إدوارد سعيد بالإنجليزية للمرة الأولى سنة ١٩٧٨م، وقد أعيد نشره سنة ١٩٩٥ في طبعة مزيدة عن دار بنجوين العالمية تحت عنوان Orientalism: Western Conceptions of the Orient وقد تُرجِمَ إلى العربية ترجمتين، الأولى لكمال أبو ديب سنة ١٩٨١م، والثانية للدكتور محمد عناني سنة ٢٠٠٦م وهي الطبعة التي تعتمد عليها هذه المقالة.

(٢) سعيد، إدوارد: الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة د. محمد عناني، دار رؤية، ٢٠٠٦م، صـ ٤٥.

(٣) يشار هنا إلى أن هذه هي ترجمة د. عناني لاسم الكتاب، الذي تُرجِم بعنوان : للهحفريات المعرفةللّه، وقد ترجمه سالم يفوت، المركز الثقافي العربي ١٩٨٧م.

(٤) سعيد، إدوارد: الاستشراق، مرجع سابق، صـ ٤٦

(٥) نفسه.

(٦) سعيد، الاستشراق، مرجع سابق، صـ ٤٩ .

(٧) نفسه.

(٨) شاكر، محمود: رسالة في الطريق إل ثقافتنا، مكتبة الأسرة ٢٠٠٩م، صـ٨٢.

(٩) شاكر: الرسالة، صـ ٩٢.

(١٠) يُنظر: الرسالة صـ ٩٤.

(١١) سعيد: الاستشراق، صـ ١١٠.

(١٢) سعيد: الاستشراق، صـ ١١٥.



محمود محمد شاكر (أبو فهر)

شواهد التوضيح

لتقدير (أنْ) في بعض الأساليب

تقديم وتعليق: عبد الفتاح جمال

باحث مصري



"عبقريٌّ بارعٌ،

قلَّ أن يجود الزمانُ بمِثْله

(عبد السلام هارون)

"أديبٌ فذٌّ،

لا نظير له في عصره

(د. شوقي ضيف)



ترجمة العلاَّمة محمود محمد شاكر

ولد العلامة أبو فهر محمود محمد شاكر بمدينة الإسكندرية في فبراير سنة ١٩٠٩م، وانتقل إلى القاهرة في السنة نفسها بعد انتقال والده إليها وكيلاً للجامع الأزهر.

تلقى تعليمه الأول في مدرسة أم عباس بالقاهرة، ثم مدرسة القربية، والتحق بالمدرسة الخديوية الثانوية، وحصل على شهادة «البكالوريا» منها سنة ١٩٢٥م، والتحق في السنة التالية بكلية الآداب بجامعة القاهرة، ونشب الخلاف الشهير بينه وبين الدكتور طه حسين فترك الجامعة. وفي سنة ١٩٢٨م سافر إلى السعودية وأنشأ مدرسة جدة السعودية الابتدائية، وعمل مديرًا لها، ولكنه عاد إلى القاهرة سنة ١٩٢٩م.

تتلمذ على الشيخ سيد علي المرصفي صاحب «رغبة الآمل»، وعلى الأديب الكبير مصطفى صادق الرافعي، والعلامة أحمد تيمور باشا، وأحمد زكي باشا، ومحب الدين الخطيب، ومحمد عبد الحيّ بن عبد الكبير الكتّانيّ الإدريسيّ الشهير بـــ«الشريف الكتاني»، ومحمد عبد الرسول وغيرهم الكثير، واتصل بالعلماء والسياسيين الذين كانت لوالده صلة بهم. وكان ممن أسهموا في إنشاء جمعية الشبان المسلمين.

وابتعد عن العمل في وظائف حكومية لانشغاله بالبحث والدرس، وقد جعل بيته مكتبة ومنتدى يلتقي فيه الدارسون وطلاب العلم ومحققو التراث.

وحياة الشيخ ومؤلفاته معروفة للناس، لا حاجة للإفاضة بل ولا للاختصار فيها، ولكن يبقى جانب مهم من حياة الشيخ غير مشهور عنه ألا وهو الجانب المجمعي في حياته، وهو ما سأشير إليه بوجازة[١].

انتخب محمود شاكر عضوًا مراسلاً لمجمع اللغة العربية بدمشق في سنة ١٩٧٧م، وانتخب عضوًا عاملاً بمجمع اللغة العربية في سنة ١٩٨٣م في المكان الذي خلا بوفاة الدكتور أحمد بدوي.

وقد قال كلمة استقباله الأستاذ عبد السلام محمد هارون، ثم ألقى هو كلمة استقباله عضوًا بالمجمع معرفًا بسلفه الدكتور أحمد بدوي.

وبعد انتخابه عضوًا بالمجمع انضم إلى لجان المعجم الكبير، وإحياء التراث، والأصول، والألفاظ والأساليب، وأخذ يشارك في نشاطها.

أما عن مكانته بين المجمعيين فيقول الأستاذ عبد السلام هارون في حفل استقباله: «عبقريٌّ بارعٌ قلّ أن يجود الزمان بمثله»[٢].

ويقول د. شوقي ضيف في حفل تأبينه: «أديب فذٌّ لا نظيرَ له في عصره»[٣].

ويقول د. محمد مهدي علام: «ومن الاعتراف بالفضل لأهله أن أقرر أنني أكتب له مستفتيًا في كثير مما يعرض لنا في لجان المعجم الكبير، وأنه سريع التلبية بما يساعد كثيرًا في حل بعض الطلاسم التي تأتي في كتابة بعض قدامى اللغويين»[٤].

فمن ذلك رسالة د. مهدي علام له يستوضح منه بعض العبارات المشكلة التي واجهها في مشروع المعجم الكبير، وهي ما جاء في اللسان مادة (حبب): «واستحبت كَرِشَ المالُ إذا أمسكت الماءَ وطال ظِمْؤُها وإنما يكون ذلك إذا التقت الطَّرْفُ والجَبْهة وطَلَع معهما سُهَيْل».

فأفاض الشيخ رحمه الله في شرح العبارة بشرح كلماتها مفردة ثم شرح العبارة كاملة بأسلوب سهل وممتع[٥].

ولما توفي محمود شاكر في ٣ من ربيع الآخر ١٤١٨هـــ = ١٧ من أغسطس ١٩٩٧م أقام المجمع حفلاً لتأبينه يوم الأربعاء ١٧ من شعبان ١٤١٨ هـــ-١٧ ديسمبر ١٩٩٧م، تكلم فيها د.شوقي ضيف بكلمة موجزة عنه، ثم رثاه د. محمود علي مكي بقصيدة مطلعها:

قضاءٌ وما للمرءِ فيه سوى الصبر
وتسليمُنا للهِ في الحُلْوِ والمُـــرِّ

ثم تكلم الأستاذ فهر محمود شاكر نيابة عن الأسرة متحدثا عن أبيه وشاكرًا المجمع في كلمة موجزة[٦].

وكذلك رثاه صديقه الدكتور عبد الله الطيب عضو المجمع من السودان بقصيدة ألقيت في الجلسة لمؤتمر الدورة الرابعة والستين سنة ١٩٩٨م مطلعها:

جاء بنَعْيِ ثمَّ عزَّاني لم يَدْرِ كم أشْعَلَ نِيرَانِي[٧]

وقد اختير الأستاذ أحمد مختار عمر عضوًا بمجمع اللغة العربية سنة ١٩٩٩م، في المكان الذي خلا بوفاته رحمه الله[٨].

وقد اخترت هذا البحث الموجز لإعادة نشره لأنه لم ينشر في جمهرة المقالات وللفت أنظار الباحثين في سيرة الشيخ رحمه الله إلى جانب من جوانب حياته العلمية ألا وهو نشاطه في مجمع اللغة العربية.

وهذا البحث قد نشر في الجزء الرابع من كتاب «في أصول اللغة» الصادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة صفحة ٨١، ٨٢.

ولم يكن لي عمل في هذا البحث الموجز سوى ضبطه وتصحيح الأخطاء المطبعية فيه، وتبيين كلام الشيخ رحمه الله من الكلام الذي نقله عن غيره.

البحث

وممَّا حُذِفَ فيه (أنْ) واكتُفِي بصلتها، قولُه تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ ﴾ (الروم: ٢٤)، والأصل أن يريكم. لأن الموضع موضع مبتدأ، خبره: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾[٩].

ومثله قوله عليه السلام: «لا يحِلُّ لامرأةٍ تؤمِنُ بالله واليوم الآخِر تحِدُّ على ميِّتٍ فوقَ ثلاثٍ» (البخاري في الجنائز، باب حد المرأة على غير زوجها) (الفتح ٣: ١١٧).

وقوله عليه السلام «لا يحِلُّ لامرأةٍ تسْأَلُ طَلاقَ أُخْتِها». (البخاري في النكاح، باب الشروط التي لا تحل في النكاح) (الفتح ٩ : ١٩٠)[١٠].

أراد: أن تُـحِدَّ، وأن تَسْأَلَ.

قال هذا تعليقًا على الخبر «نحنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ يومَ القيامة، بَيْدَ كُلِّ أُمَّةٍ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا»[١١].

والأصل في الرواية من روى «بيد كل أمة» بيد أنَّ كل أمة، فحذف (أنَّ) وبَطَلَ عَمَلُها... وهذا الحذف في (أنَّ) نادر، ولكنه غيرُ مستبعدٍ في القياس على حذف (أنْ) فإنهما أُخْتَان في المصدريَّة، وشَبِيهتَان في اللفظ[*].

– في حديث معاذ بن جبل قال:
«لو كنتُ آمِرًا بشرًا يسجدُ لبَشَرٍ، لأمرتُ المرأةَ أن تسجُدَ لزَوْجِها»[١٢].

– في حديث أنس بن مالك: (الأدب المفرد رقم ٢٧٨)
«جاء أعرَابِيٌّ فأخذ بثوبه، فقال إنمَّا بَقِيَ من حَاجَتي يَسِيرةٌ، وأخافُ أنساها».

– في حديث لهشام بن عامر: (رقم ٤٠٧)
«لا يحِلُّ لمُسلِمٍ يُصارمُ مُسْلِمًا فوقَ ثلاثِ ليالٍ»[**].

– حديث حَرْمَلَةَ بن عبد الله قال:
«قلتُ يا رسولَ الله: مَا تَأْمُرُنِي أَعْمَلُ». (رقم/ ٢٢٢)

– لَيْسَ يحُسِنُ يَكْتُبُ[١٣]. [***]

– حديث سعد بن أبي وقاص، قال عمر بن الخطاب:
«لقد شكَاكَ أهلُ الكُوفَةِ في كلِّ شيءٍ، حتَّى زعموا أنَّكَ لا تحْسِنُ تُصلِّي بهم»[١٤].

– حديث جابر بن عبد الله، عبد الله بن أُنَيْسٍ[١٥]:
«أنا المَلِكُ، لا يَنْبَغِي لأحدٍ يَدْخُلُ الجَنَّةَ وأحدٌ من أهل النَّار يَطلُبُه بمَظْلَمَةٍ، ولا ينبغي لأحدٍ من أهل النار يَدْخُلُ النَّارَ وأحدٌ من أهل الجَنَّةِ يَطْلُبُه بمَظْلَمَةٍ».

الهوامش

(١) لم تنشر هذه الكلمة بجمهرة المقالات التي جمعها الأستاذ الدكتور عادل سليمان جمال، وكذلك البحث الذي أعيد نشره في هذا العدد.
(٢) مجلة المجمع ج٥٢/ ص٢٠٩. (٣) مجلة المجمع ج٨٤/ ص٢٨٦.
(٤) المجمعيون في خمسين عامًا ص ٨٠٤. (٥) مجلة المجمع ج٥٩ / ص ٢٤: ٣٦.
(٦) مجلة المجمع ج ٨٤ / ص ٢٨٥ : ٢٩٥. (٧) مجلة المجمع ج٨٧ / ص١٩٩: ٢٠١.
(٨) المجمعيون في خمسين عامًا ص ١٦٤.
(٩) شواهد التوضيح لمشكلات الجامع الصحيح لابن مالك ص ١٥٥.
(١٠) الفتح ٣/ ١١٧، ٩/ ١٩٠. (١١) الفتح ٦/ ٢٨١.
(*) الكلام من بداية البحث حتى هذا الموضع هو كلام ابن مالك، وقول الشيخ: «قال هذا تعليقا على...» القائل هو ابن مالك في الشواهد ص ١٥٥، ١٥٦. وما بين القوسين بخط صغير هو من عزو الشيخ لصحيح البخاري وفتح الباري.
(١٢) مسند أحمد بن حنبل ٥/ ٢٨٨.
(**) هذا الحديث والذي يليه رواهما البخاري في الأدب المفرد والأرقام بين القوسين هي أرقامهما في الكتاب.
(١٣) في مسند أحمد بن حنبل ٤/ ٢٩٨، تاريخ الطبري ٣/ ٨٠.
(***) هذه الجملة من حديث البراء بن عازب في صلح الحديبية وهي عند البخاري أيضا بهذا اللفظ (ح ٤٢٥١). وللشيخ أبي فهر رحمه الله تعليق على هذه الجملة من الحديث في تفسير الطبري (ج ٢/ ص ٢٥٨ هامش ١).
(١٤) مسند الحميدي ١/ ٣٨، ومسند أحمد ١٥١٨، ١٥٤٨، ١٥٥٧.
البخاري (الفتح ٢/ ١٩٦) في الآذان (باب وجوب القراءة للإمام والمأموم).
(١٥) الأدب المفرد رقم ٩٧٠، المسند ٤/ ٤٩٥.

أسئلتكم يجيب عنها

د. تامر عبد الحميد أنيس



تسأل «أسماء رضا» عن تنوين (ساع) أهو تنوين عوض أم تنوين تمكين؟

والجواب:

أن التنوين في (ساع) ونحوها مثل: قاضٍ، وداعٍ، ومهتدٍ، ومرتجٍ، تنوين تمكين وليس تنوين عوض، لأنَّ هذه الأسماء أسماءٌ معربة منصرفة، ليس بها سبب يمنعها من الصرف، وتنوين التمكين هو التنوين الذي يلحق الاسم المعرب المنصرف، فكل اسم منقوص ليس ممنوعًا من الصرف تنوينه تنوين تمكين، والياء المحذوفة منه في حالتي الرفع والجر عند التجرد من أل والإضافة إنما حذفت تخلصًا من التقاء الساكنين فلا يعوض عنها.

أما تنوين العوض فيلحق الاسم المنقوص الممنوع من الصرف، مثل: (جوارٍ)، و(غواشٍ)، و(عوادٍ)، فإنها أسماء ممنوعة من الصرف؛ لأنها على صيغة منتهى الجموع، فالتنوين فيها ليس تنوين الصرف أو التمكين، بل هو عوض عن الياء المحذوفة حتى لا تعود مرة أخرى بعد حذف تنوين التمكين من آخر الاسم لمنعه من الصرف.

ويسأل سائل عن إعراب كلمة (ماضٍ) في عبارة: لمصرَ ماضٍ عريق.

والجواب:

أنَّ ماضٍ مبتدأ مؤخر، وهو مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الياء المحذوفة منع من ظهورها الثقل.

فإن قيل: ولمَ كسرت مع أنها مبتدأ مؤخر؟

فالجواب أنَّ الكسرة التي على الضاد هي حركة في بنية الكلمة، ولا علاقة لها بالإعراب، فكلمة (ماضٍ)، أصلها: (ماضِيٌ) بوزن (فاعِل)، ثم حذفت الضمة من على الياء للثقل، فالتقى ساكنان؛ الياء ونون التنوين، وصورة اللفظ حينئذ هي (ماضِينْ)، فحذفت الياء تخلصًا من التقاء الساكنين، فصارت الكلمة (ماضِنْ)، لكنَّ النون تنطق ولا تكتب ويشار إليها بتكرار حركة ما قبلها فتكتب هكذا: (ماضٍ) بوزن (فاعٍ).



مستشارك اللغوي



ويسأل أيضًا عن سبب نصب ﴿رِحْلَةَ﴾ في قوله تعالى: ﴿رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ﴾.



والجواب:

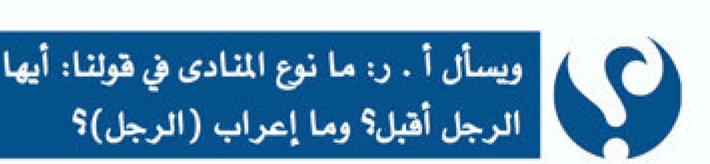
أنَّ رحلة مفعول به للمصدر إيلاف، وهو مصدر مضاف إلى فاعله؛ أي لأن ألفت قريشٌ رحلة الشتاء والصيف.



ويسأل أيضًا: في قول الله تعالى ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ما نوع التنوين في ﴿هُدًى﴾؟

والجواب:

أنَّه تنوين تمكين؛ لأن كلمة ﴿هُدًى﴾ اسم معربٌ منصرف، والاسم المعرب المنصرف تنوينه تنوين تمكين.



ويسأل أ. ر: ما نوع المنادى في قولنا: أيها الرجل أقبل؟ وما إعراب (الرجل)؟

والجواب:

أنَّ (أيًّا) في النداء وُصْلَةٌ لنداء ما فيه (أل)، وهي من قبيل النكرة المقصودة، والمنادى هنا مفرد معرف، وتعريفه بالنداء نفسه، وهي مبنية على الضم في محل نصب.

وأما إعراب (الرجل) فهو تابع لأي مرفوع وعلامة رفعه الضمة، وإنما رفع إتباعًا له على اللفظ، ولا يجوز عند الجمهور نصبه، وأجازه المازني حملا له على تابع المنادى المبني نحو: يا زيدُ الكريمُ أو الكريمَ.

وفي نوع هذا التابع خلاف، فذهب بعضهم إلى أنَّه نعتٌ مطلقًا؛ أي سواء أكان مشتقًّا أم جامدًا، ووجهه أنَّ الجامد هنا مؤول بالمشتق على معنى المعيَّن والحاضر، أو أنَّه لا يشترط في النعت أن يكون مشتقا أو مؤولا به بل الضابط دلالته على معنى في متبوعه، فالرجل دال على الرجولية.

وذهب بعضٌ إلى أنَّه بيانٌ مطلقًا، قال ابن السِّيْد: وهو الظاهر.

وقيل: إنْ كان مشتقًّا فهو نعت، وإن كان جامدًا فهو بيانٌ، قال الأشموني: وهو أحسن. (راجع: حاشية الصبان على شرح الأشموني، ط. التوفيقية، ٣/٢٢٤).

ويسأل «وائل أحمد» عن إعراب قول الله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾.

والجواب:

أنَّ الفعل (يظن) في الآية الكريمة يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون ناصبا لمفعولين، وعلى هذا الوجه فالمفعول الأول هو (غير الحق)، والمفعول الثاني (بالله) مقدم على الأول. و(ظن الجاهلية) مفعول مطلق مبين للنوع لـ(يظنون).

الثاني: أن يكون لازمًا بمعنى شكَّ، وعليه فـ(بالله) جار ومجرور متعلقان بالفعل (يظنون)، و(الباء) للظرفية المجازية، تقول: ظننت بزيد؛ أي جعلته موضع ظني، والمعنى: شككت فيه، و(غير الحق) مفعول مطلق مؤكد للجملة قبله، والأصل: ظنا غير الحق، وإنما كان مؤكدًا لأن الشك ظن سوء، وظن السوء بالله تعالى هو ظن باطل غير حق، و(ظنَّ الجاهلية) بدل من (غير الحق) منصوب مثله.

يقدمها لكم:

أحمد عبد الحميد
باحث مصري

١- أسرار العربية

صدر عن مجلة «الوعي الإسلامي» (الإصدار الخامس والتسعون) ٢٠١٥/١٤٣٦ بالاشتراك مع معهد المخطوطات العربية كتاب(أسرار العربية) لأبي البركات الأنباري (ت ٥٧٧)، برواية أبي الفتوح نصر بن أبي الفنون النحوي (ت ٦٣٠). تحقيق: د/ محمد راضي مدكور، ووائل محمود عبد السلام، ومراجعة د/ فيصل الحفيان.

يحتوي الكتاب على دراسة مقدمة أمام التحقيق، استغرقت ١٣٣ صفحة، مكونة من ثلاثة فصول..

الفصل الأول: ترجمة الأنباري، وحياته، ونشأته.

الفصل الثاني: ترجمة ابن أبي الفنون، وحياته، ونشأته.

الفصل الثالث: في التعريف بالكتاب، ويشمل ثلاثة مباحث؛ **الأول:** في بنية الكتاب ومادته دراسة موضوعية، وفيه عَرَضَ المحققان لموضوع الكتاب وما يحويه، وأهميته في الدراسات العربية، وعمل الأنباري فيه وآرائه، وما إلى ذلك.

المبحث الثاني: في روايات الكتاب، ونُسَخه في المكتبات العالمية. وفيه درس المحققان الروايات التي وقعا عليها للكتاب، وعدتها أربع روايات، وألحقا بها جدولا لبيان الفروق بين الروايات، وما تتميز به رواية ابن أبي الفنون -التي وقع الاختيار عليها عن غيرها- ثم تعداد المواضع التي حصل فيها السقط، أو التحريف، أو السهو، أو الزيادة، أو الخرم، أو المخالفة. كل ذلك مُبينَّ بالأرقام ومَعزوٌّ إلى النشرات السابقة للكتاب.

اعتمد المحققان في نشرتهما ست مخطوطات، اختاراها من بين النسخ الكثيرة التي وجداها في المكتبات المختلفة.

يشار إلى أن الكتاب قد سبق نشره ست مرات بتحقيقات مختلفة، بيَّنها المحققان في المقدمة وخصَّصا لها المبحث الثالث؛ فتكلما عنها وبيَّنا ما تتميز به هذه النشرة عنها.

الكتاب مزود بالفهارس الفنية التي بلغت ١٩ فهرساً، شملت كل الكشافات التي تخدم القارئ.

٢- الكامل في القراءات

صدر كتاب «الكامل في القراءات» للإمام الكبير أبي القاسم يوسف بن علي بن جبارة المغربي الأندلسي (ت٤٦٥)، عن «دار سما للكتاب»، بتحقيق أبي إبراهيم عمرو بن عبد الله.

الطبعة الأولى ١٤٣٥ /٢٠١٤، في مجلدين كبيرين، بلغ عدد صفحاته ١٣٧٧ صفحة، من القطع المتوسط.

صدَّره المحقق بمقدمة، تكلم فيها عن ترجمة أبي القاسم بن جبارة، وأهمية كتابه، وأنه أحد عُمُد كتاب ابن الجزري، وأصوله في النشر، «وأن هذا الكتاب يأتي في المنزلة الأولى بالنسبة لغيره، من حيث عدد الطرق التي اعتمدها في كتاب النشر إلى الأئمة العشرة». ثم أردف ببيان مكانة هدا التصنيف، وما له وما عليه، وذكر بيان مأخذ الخطأ في بعض الطرق، حسب ما قرره ابن الجزري، ثم ذكر تعداد من روى المصنف القراءة من طريقهم، ثم ذكر الاختيارات التي أسندها المصنف في كتابه، والتي بلغت تسعة وأربعين، وأتم الخمسين باختياره.

بدأ المصنف بكتاب الفضائل، وخصَّصه لفضل السور، والقارئ، والمقرئ، والقراء السبعة، وغيرهم، ثم بكتاب التجويد، ثم ذكر أسماء الذين وردت القراءة من طريقهم من الصحابة والتابعين وغيرهم، ثم ذكر فصلا في طبقات القراء، وأتبعه بكتاب الأسانيد، ثم ذكر أوجه الاختلاف بين القراء مبوَّبة على الأبواب المختلفة، ثم أنهى كتابه بكتاب الفرش.

اعتمد المحقق في تحقيقه على نسختين؛ إحداهما محفوظة بالمكتبة الأزهرية، والأخرى منقولة منها بخط شيخ مشايخ المحقق، وهو الشيخ محمد بن إبراهيم سالم وقد انتسخ جزءًا كبيرا منها، وترك لعامل المكتبة إكمالها.

أبان المحقق أنه بذل في حواشي الكتاب عند الطرق جهدا كبيرًا في تمحيصها، معتمدا على مصادر مخطوطة ومطبوعة، وربما طالت بعض الحواشي إلى حد غير مألوف عند طرق القراءة، وقد اقتصد في تخريج بعض الآيات، وعدم التنبيه على التصحيف الذي وقع في المخطوط أو المطبوع واكتفى بضبطه، ثم ختم المقدمة بذكر سنده الذي أدى به إلى الكتاب.

سبق أن نُشر الكتاب نشرتين قبله، لكنهما ليستا مخدومتين.

وإن الكتاب حافل بضبط الطرق، ومليء بالتعليلات النحوية واللغوية للقراءات في كتاب الفرش. وما ينقص هذه النشرة هو الفهارس الفنية التي تخدمها.

٣- مختار تذكرة أبي علي وتهذيبها



صَدَرَ عن «مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية» كتاب «مختار تذكرة أبي علي وتهذيبها» للإمام الكبير أبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢). بتحقيق الدكتور حسين أحمد بو عباس. تحقيق التراث (٢١). ١٤٣٢/٢٠١٠.

قدَّم المحقق بين يدي التحقيق مقدمة، أبان فيها عن طرق توصُّله لهذا المخطوط النفيس، وأنه كان مشارًا إليه في حواشي المحققين، والمشتغلين بكتب أبي علي، بوصف (تذكرة أبي علي، الجزء الثاني منه نسخة قديمة سقط من آخره تاريخ الكتابة. ويغلب على الظن أن النسخة من خطوط الخامس تقريبا).

ثم سرد كيف حصل على نسختها، وكشف عنها.

أدرج العناوين المألوفة بين يدي التحقيق: عنوان المخطوط ونسبته، وأطال في هذا المبحث.

ثم أدرج بيان صفة الكتاب ومحتواه، ثم ذكر رموزه المستخدمة في الكتاب، وما امتاز به عن سائر كتب أبي علي، ثم عرض لمصادره، ثم موجز في عمل ابن جني في التهذيب، ثم وصف المخطوطة التي اعتمدها في هذا التحقيق.

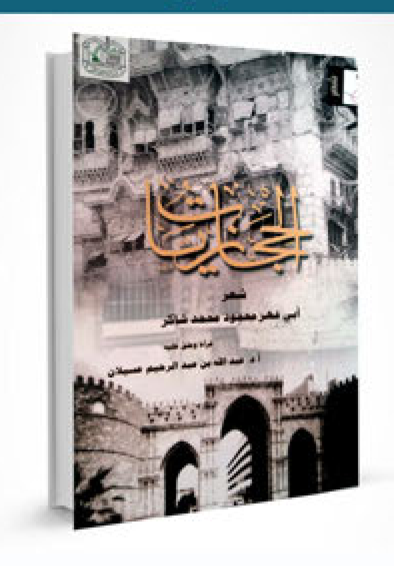
الكتاب كما وصفه ابن العديم «كتاب عزيز الفائدة، تكلم فيه عن معاني آيات من القرآن وأحاديث عن النبي -صلى الله عليه وسلم- ومعاني أبيات من أشعار العرب ومسائل من النحو والتصريف».

ويخمن المحقق «أن الكتاب كان أصله مخزنا يجمع فيه أبو علي ما يعنُّ له من مسائل ومباحث في الموضوعات المذكورة».

صدر الكتاب في ٧٢٨ صفحة من القطع الكبير، مزودا بالفهارس الفنية التي شملت كل الكشافات الخادمة للنشرة، ثم في آخره جدول لمقابلة الصفحة المطبوعة بالمخطوطة.

وهو أثر نفيس حقيق بالدراسة؛ للكشف عن الجديد في شخصية هذين العالمين وآرائهما النحوية واللغوية.

٤- الحجازيات



صدر عن النادي الأدبي بالمدينة المنورة ديوان «الحجازيات».

ديوان جديد للأستاذ الكبير أبي فهر محمود محمد شاكر، تمثل قصائده فترة مبكرة من ألوان الشعر عند الأستاذ -رحمه الله- ويكشف بحسب مقدمته جوانب عديدة من شخصية شاكر وأدبه وحياته، يحاول -من خلال ذلك- إضافة بُعد جديد لما سبق نشره من تراثه الأدبي والشعري.

كان الباعث على نشرها أن الدكتور عبد الله عسيلان رئيس مجلس أمناء مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية لما سمع خبره اتصل بابنه الدكتور فهر، وأبدى له رغبته في العمل على نشره، فاستجاب له وسلَّمه مسودة الديوان خلال زيارته للقاهرة.

وتضمن الديوان ٤٦ قصيدة ومقطوعة، ودراسة أعدها عسيلان تحدث فيها عن شاعرية شاكر، وإلقاء الضوء على أبرز معانيه وخصائصه من حيث الشكل والمضمون، مشيرًا إلى أن القصائد تتراوح بين الوجدانيات، والإخوانيات، والحنين إلى الوطن.

واعتبر الدكتور عسيلان أن نشر هذا الديوان سيضع بين يدي الباحثين في أدب شاكر مادة ثرية، كانت محجوبة عنهم، فالقصائد ولدت وترعرعت في أحضان الحجاز، وفي جدة على وجه التحديد، في الفترة التي امتدت من ١٩ ربيع الأول - ٢٧ ذي الحجة ١٣٤٧هـ.

من مقطوعات الديوان:

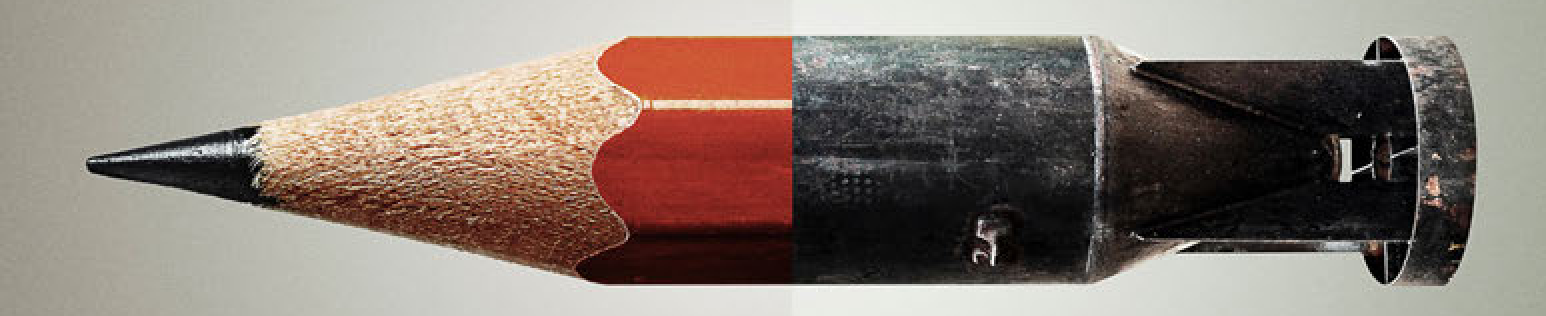
يوم الرحيل

كُلُّ عَينٍ تبْكِي وَكُلُّ فُؤَادٍ ... خَافِقٌ إِثْرَ رُفْقَةٍ وَخَلِيلِ

وَدَّعُوا وَالرَّحِيلُ دَاعٍ إِلى الْبَيـْـ ... ـنِ فَوَدُّوا أَنْ يَظْفَرُوا بِالرَّحِيلِ

رَغِبُوا إِذْ أَذَاقَهُمْ غُصَصَ الْبَيـْـ ... ـنِ أَذَاقُوهُ غُصَّةَ الْمَقْتُولِ

#الجهاد_اللغوي



معتز صقر
كاتب مصري

الصورة من موقع adot.com

بما لي من علم بالحديث العربي الفصيح، ودربة طويلة على أدائه، أستطيع أن أقول: إنَّ أفضل من يتحدثون بالعربية الفصحى، بطلاقة، هم عموم السوريين، ومن بعدهم بعض المغاربة إذا أحسنوا، فاللغة على ألسنتهم جميلة حقًّا.

أمَّا المصريون؛ فمنهم من يبز هؤلاء وأولئك، حقا، ولكن إذا أحسن أيَّـما إحسان، وإنهم قليلون.

فالمصريون لديهم أزمة عظيمة إذ يتحدثون بالفصحى، إنها مخارج أصواتهم، حتى إذا حسن نحو كلامهم وصرفه.

ثم عجب بعضهم من تفضيلي لهجة السوريين -عموم السوريين- عند التحدث بالعربية الفصحى، على غيرهم من العرب، وجعلي المغاربة -المحسنين منهم- في المرتبة الثانية.

وقد انتبهت إلى أن كثيرين ظنوا أني أقول إن كل السوريين يتحدثون أفضل من كل العرب، ولكنني قلت (عموم السوريين)؛ وليس ذلك عن محبة للسوريين -وإن كانت موجودة- لكن عن متابعة طويلة للكنتهم في الإعلام والدراما والتعليم، وإنها من أهم وسائل دراسة لغات الشعوب في عصرنا.

من يراجع بعض المسلسلات المنطوقة بالعربية الفصيحة، التي مثَّل شخصياتها سوريون ومعهم مغاربة -ولينظر منها مثلاً (ربيع قرطبة)- ويراجع بعض المسلسلات المنطوقة بالعربية الفصيحة التي مثَّل شخصياتها مصريون -ولينظر مثلا (عمر بن عبد العزيز)- ويقارن بين ما يسمع في الأولى وما يسمع في الثانية، فسوف يدرك صحة ادعائي، أو على الأقل، سبب هذا الادعاء.

وإذا أردتم تبسيطًا أكثر، بحيث نجمع بين أجناس عربية عدة في مسلسل واحد، فانظروا مسلسل (عمر)، فذاك من أفضل الأعمال الدرامية العربية على مر التاريخ، من نواح عدة، ولكن ركز على اللغة.

إنَّ اللغة ليست نحوًا وصرفًا، وإنَّهما عِلْمان فقط، وإنَّ شخصًا يحترف النطق السليم بأصوات العربية الفصحى ويخُطئ في ضبط بعض كلماتها صرفًا ونحوًا، هو أفضل ممَّن لا يستطيع نطق الأصوات سليمة حتى إذا كان لا يقع في خطأ نحوي أو صرفي واحد.

وإنَّ السوريين والمغاربة، لأصحاب لُكْنات حسنة، ونطق سليم -على ما أرى- لأصوات العربية الفصيحة، وهذا ما يجعلني أراهم أقدر من غيرهم (عمومًا) على التحدث الحديث.

ما زال في الأمر كلام كثير، نتناوله تباعًا، فنحن بحاجة إلى بحث أسباب ذلك.

تصويبات لغوية

يرصدها: د. علي النجار
أكاديمي مصري

القارئ العزيز، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... فهذه نتف جديدة من بعض الأخطاء الشائعة التي نستعملها في أحاديثنا وكتاباتنا؛ رزقني الله وإياك الحرص على العلم والعمل به!

- نقول: الطبيب فلان اَخِصَّائِيُّ الجراحة (بفتح الهمزة) وأصل الصواب في هذا أن نقول: مخُتَصُّ الجراحة، أو مُتَخَصِّص، أو اختصاصيّ؛ لأن كل ذلك من الفعل (خَصَّ).

وقد جاء في القاموس المحيط للفيروزآبادي: «اَخْصَى؛ أي: تعلَّم علمًا واحدًا؛ وبناء عليه يجوز أن نقول: إخْصَائيّ (بكسر الهمزة وفتح الصاد من دون تشديد وإضافة ياء النسب في آخر الكلمة) وليس بفتح الهمزة كاستعمالنا؛ لأن مصدر الفعل (أخصى) هو (إخْصَاء) مثل (أقصى: إقصاء - أعطى: إعطاء - ألقى: إلقاء،...).

- مما شاع في إعرابنا لكلمة (مع) أنها حرف جر، والصواب أنها ظرف مُعرَب، يفيد الزمان والمكان حسب ما يضاف إليه؛ فنقول: سافر زيد مع الفجر (مع: ظرف زمان منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، وشبه الجملة متعلق بـ«سافر»).

ونقول: جلست مع خالدٍ في الملعب (مع: ظرف مكان منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، وشبه الجملة متعلق بـ «جلس»). فالصواب إذن هو أن «مع» اسم بدليل تنوينها حين تقع حالا؛ نقول: جاء الأولاد معًا.

والتنوين من علامة الأسماء كما هو معلوم.

وخلاصة القول أن (مع) إذا أضيفت أعربت ظرفًا، وإذا نونت أعربت حالاً.



- ومن أخطائنا اللغوية أن نقول: جاء الثلاثةُ رجالٍ...

والقاعدة في ذلك ما يأتي:

إذا أردنا أن نُعَرِّف العدد بــ (أل) فلذلك صور:

الأولى: إذا كان العدد مضافًا (ثلاثة رجالٍ - سبع نسوةٍ...) نعرف المضاف إليه؛ فنقول: جاء ثلاثةُ الرجال، وزرت خمْسَ اليتيماتِ،... .

الثانية: إذا كان العدد مركبًا (ثلاثة عشر - أربع عشرة - خمس عشرة - ستة عشر...) نعرف الصدر فقط؛ فنقول: جاء الأربعةَ عشَرَ طالبًا، وكافأتُ الخمسَ عشرة متفوقةً،... .

الثالثة: إذا كان العدد معطوفًا (خمسة وأربعون - سبع وخمسون...) نعرف المعطوف والمعطوف عليه؛ فنقول: نجح الثمانيةُ والسبعون طالبًا. وعطفتُ على الثلاثِ والتسعين مسكينةً.

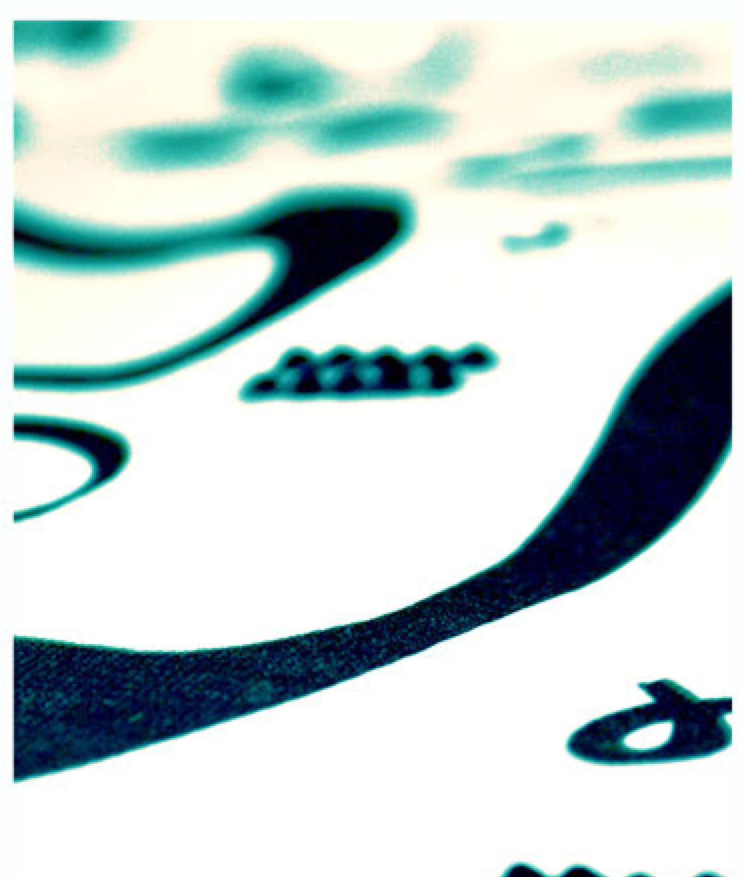
- نقول خطأ: «قال فلان: كَيْتَ وكَيْتَ».

والصواب أن نقول: قال فلان: ذَيْتَ وذَيْتَ، وعَمِلَ كَيْتَ وكَيْتَ؛ لأن العرب جعلوا (كَيْتَ وكَيْتَ) كناية عن الفعل، وجعلوا (ذَيْتَ وذَيْتَ) كناية عن القول، كما جاء في لسان العرب لابن منظور.

- نقول : أرسلت إليه خطابًا.

والصواب: أرسلت إليه بخطاب؛ لأن المرسَل إذا كان عاقلاً تعدى إليه الفعل (أرسلَ) بنفسه، وإذا كان غير عاقل تعدى إليه بالباء؛ مثل قوله -تعالى- مخبرًا عن بلقيس ملكة سبأ: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾ (النمل: ٣٥).

نفعني الله وإياكم بما نقول في الدنيا والآخرة!







المقامة البوفيهية

بيرم التونسي (١٨٩٣ - ١٩٦١م)

حدثنا عمر بن جعران قال: من عادتي أن أتناول العَشَاء.. بين المغرب والعِشاء.

فلما وضعنا الطبْلِيَّة.. وغَرَفنا الملوخيَّة.. وراقَ الجو وطاب.. دَقَّ الباب؛ ففتحت. فلقيتُ شابًّا في بَدْلةٍ سوداء.. ورأيتُ على الباب سيارةً في غايةِ البهاء.

فقال الفتى: أهذا منزلُ ابن جعران المأذون؟

قلت: هكذا يزعمون.

قال: أسْرِعْ بدفترِكْ.. وشرِّفْنا بمحضرِكْ.. لتعقدَ قِرانَ بنتِ المرعَشْلي باشا.. على عصمت بك اليوز باشا .

قال ابن جعران: فأخذني الانبهار.. وصحتُ: يا أهلَ الدار! عندكم الملوخيَّة؛ فكلوها.. وقطعة الأرنب؛ فانهشوها.. واقْذِفُوا لي بالجبة. فقذفوها.. وانطلقتْ بنا السيارة.. كأنها طيارة.. فقلت للفتى:

أرفِـقْ بها في السيـر والتقـدُّم
وَامشِ الهُوَيْنى فـي الطريق المظلم
لا تُبْـدِلَنْ أفراحَـنـا بمأتـم

فلما قطعنا المشوار، ودخلنا الدار.. وجدتُ الدارَ شامخة.. والحفلة باذخة.. فيها مِن الوزراء مَن سَبَق.. ومن الكبراء من التحق..

فقلت: أين العريسُ الموعود؟

قالوا: هو ذا موجود.. وها هم أولاء الشهود.

فاستفتحت الخطبةَ بالحمد والثناء.. ودعوتُ لهم بالبنين والرِّفاءْ[1].. ثم رأيتُ القومَ ينهضون جميعًا.. ويخرجون سريعا.

إلى أين؟

قال العريس: إلى البُوفَيْه.. وقم معي لأَدُلَّكَ عَلَيْه.

فتركتُ الدفترْ.. ومشيتُ خلفه أتَعَثَّرْ.. حتى وصلنا إلى البُوفَيْه الذي قال عليه.. فإذا مائدةٌ كأنها سماطُ الـمُـجَّاجْ.. وعليها الخرافُ والأسماكُ والدجاجْ.. بل وعليها ألوانٌ وأنواعْ.. لم يَبْلُغْني خَبَرُها بالنظر ولا بالسَّماع.

ولكنَّني أُشهدُ اللهَ.. الذي لا إلهَ سواه.. أنَّ الموائدَ امتحانٌ لا غِشَّ فيه.. وأنها تُـمَيِّزُ النبيلَ من السفيه..

فالموائد تُبيِّــنُ الأشراف من الأجلاف.. وعليها تُصْدِرُ حُكْمَكَ على الناس بلا استئناف.

هؤلاء الجالسون من الأعيان.. الواحد منهم كأنه هامان.. أو قيصر الرومان: الكلامُ مِنَ الأنْف[٢].. والإشارةُ من الطَّرْف.. وقفوا على البوفيه وكأنهم الجيش الأحمر.. أو عربجيَّةُ المَــحْجَر.. وتقدَّم كلُّ واحدٍ منهم وشمَّرْ.

إبراهيم بك سعد مأمور قسم سابقًا:

حَشا شدْقَهُ لحمًا وشدْقًا كُنــافةً
وفي يَدِهِ القارُوصُ، والكيكُ في الأُخْرَى

وعثمان بك السيد موظف بالأوقاف:

رأى الأكلَ بالسكين ليس بمُسْعِفٍ
فأعْمَــلَ ملهــوفًا أصابعَــه العَشْرا

ومتولي باشا غانم بالمعاش:

تَوَقَّفَ قُدَّامَ الدجــاجةِ حائــرًا
أيُطْبِقُ في الورْكَيْنِ أم يَنْهَشُ الصدْرا؟!

ونجيب باشا المهندس:

تَناوَلَ مَوْزًا، ثم فجــلاً.. وبَسْطَةً
ولحْمًا وسردينًا، كذا (جِبْنَةً) حمْرا

وشعبان أفندي الدهشان من ذوي الأملاك:

لو انَّ الذي أصْفاهُ[٣] جيءَ بِنِصفْهِ
إلى ملجــأِ الأيتام أشْبَــعَهُم شهرا

وذهني أفندي رئيس قلم الطرود:

رأى نِصْفَ ديكٍ فانثنى بجريدةٍ
ولَفَّ، وقال: الطَّرْدُ لابنتيَ الصغْرى

وشافعي باشا القاضي:

على شِــدقِهِ سال الإدامُ وصَدْرِهِ
على أنَّه -واللهِ- أرْفَعُــهمْ قَــدْرا

وسليم باشا مفتش الري:

يمُــدُّ إلــى الأُوزيِّ كَفًّــا كأنَّــها
بَرَاثِــنُ ضِــرْغامٍ، ولكنَّها أضْــرَى

والعبد الفقير:

وقفتُ وصُنْتُ النفسَ. واللهُ مخْلِفٌ
على مَن يَصُونُ النفسَ أو يحْسِنُ الصَّبْرا

ما هكذا كانت ولائمنا في الأفراح.. ولا مآكلنا في الأتراح.. ولعنةُ اللهِ على البوفيه القبيح.. الذي يُعَلِّمُ التَّشْبيح.. والسَّطْوَ الصريح.

قال ابن جعران:

وأقبلَ العريس.. يخْتال ويمِيس.. فرأى يَدِي نظيفة.. ومشيتي خفيفة.. فقال لي: هل أكلتْ؟ فقلتْ:

جِئْتَ بي إلى العَشا وَسْطَ حفلٍ وموكِبِ

فقال: ولم لا تأكل؟ فقلت:

لَــمْ أُزَوَّدْ بســاعدٍ مِن حــديدٍ ومَنْكِبِ

فألقى نظرةً إلى أولئك الغنم.. وابتسم.. ثم قال: اتبَعْني.. فسرتُ خَلْفَهُ يَعْني.. حتى دخلنا على الطبَّاخ.. فقال له: ما عندك من الفراخ؟

قال: دجاجتان من الفيُّومي.. وديكٌ رومي.

فقال: ضَعْها في صِينِيَّة.. مع بعضِ الكنافةِ والمُهَلَّبِيَّة.. وابعثْها إلى دار الأستاد مع الخادِمْ.. ليأكلَ هو والهانم.

وهكذا ينصرُ اللهُ الصابرينْ.. ولو بعد حين.

شخصيات خالدة

سميرة بيطام

كاتبة جزائرية

كثيرون هم من انسكبت أحلامهم في صراع البقاء دونما مسعًى لترك الحالمين في أحلامهم بنسج الصبح خيوط الأمل على توقعاتهم طيلة مشوار لامع بالأماني..

كثيرون هم من انحنَوْا أرضًا لالتقاط حبَّات السمسم المتناثرة بفعل فاعل لتشتيت الإرادة والصفاء والإخلاص لفكرة طالما كبرت وارتفعت معالمها إلى بعيد البعد في فسيح السماء العالية..

كثيرون من تألَّموا وحبسوا الدمع والصراخ ليكملوا المشوار بعيدًا عن الشكوك والظنون لأيادٍ طالت طويلاً لاقتصاص الحُلْم من مضجعه حتى لا تكتمل الحكاية بآخر مشهد الروعة والتشويق في معرفة ختام قصة البطل الذي تحدَّى عواصفَ وأطماعًا ونوايا سيئةً حتى غاب عن الأنظار؛ فارًّا من زوابع النكران للجمال المميز في الوجه والابتسامة الساحرة.

كثيرون من سهروا الليالي لتحصيل العلم النيِّـر بصعوبة الحفظ والفهم في ظروف المطاردة؛ حيث يفر الحرف من الجملة فيختل التوازن في التعبير والمعنى، ويصبح التحريف في بداية كل كلمة عبارة عن تيه آخر يليه عدم الفَهْم، ومن ثَمَّ إلغاء الجملة التي كان الهدف منها إيصال معنى التحمُّل والانصهار من أجل حرية المبدأ والهدف.. والكل محتقر لهذه المساعي..

كثيرون هم من بكَوْا مع بكاء الشموع في ظلمة الليل، ولا أحد فهم هذا البكاء أو حاول احتواءه، خاصَّة وأنَّ أنين التعبير عن محاولة اغتيال القِوامة في مواجهة الصعاب لم يطلب مساعدة من أحد؛ لأنَّ العزيمة كانت مبنية على حسن التوكل على الله. وكلما كان الاعتدال في السلوك كان احتيار من أرادوا الاحتكار سخطًا ولغطًا لضوء منارة لم تخبُ للحظة في جزيرة الأحلام الواعدة.

فحينما أسترسلُ في مواساة هؤلاء المثابرين أجدهم مغلوبين على أمرهم من كثرة المقاومة باستماتة الخلق الرفيع والاحتساب لله عز وجل، فأرحل مع فكرهم الراقي لأتعلَّم منهم فنون الصبر والتحدِّي. لَكَمْ كان التنكُّر لهم قاسيًا وعنيفًا! لَكَمْ كان تهميشهم في عدم أخذهم بأحضان النصرة طعنات سكِّين في ظهر المغترب والوحيد!

صدقًا، أتفنَّن في فهم لُبِّ العقل لدى هؤلاء العظماء ممَّن حباهم الله بالتقوى والكفاح المستمرِّ

حتى يستقرَّ النَّفَسُ الأخير على تحقيق المراد، وما أصعبها من مهمة! بل ما أقساها من أمنية وهي تمتصُّ معها راحة البدن وخلوَّ الذهن من الهواجس وارتحال الضمير بحثًا عن الهناء!

بصراحة، أحتار حينما أريد فهم حجم المعاناة، ولكني – وبإحساسي – أختزل الكثير من المفاهيم والمآسي. في سِيَرِ هؤلاء رحيلُ مغتربٍ، فلا رسالة يتركونها وراءهم لإعلام الأحباب عن موعد الرحيل، ولا إفصاح بالجهر عن حجم الجراح لمن سكنوا صدورهم بالودِّ والإخاء في أحلى لحظات العمر.. إنَّها الهجرة حيث لا يُسمع صوتهم ولا حركة أقلامهم حين يبدعون في صمت.

لَكَمْ بلَّتْ دموعُهم صحائفَ خواطرهم! لَكَمْ سَكَنَ السكون بيوتهم؛ فلا تسمع لهم ضجيجًا ولا كلامًا مفهومًا ما عدا ما صِيغَ من طيب الكَلِم في تلاوة القرآن، وزانه الصبر المحمود والعودة إلى الله حين تضيق السبل ويتغلغل اليأس بداخل سرائرهم، فينقطع السبيل بينهم وبين صخب الدنيا وكأنَّهم أحياء ولكن أموات حينما يخفون ملامح الحقيقة أمام الناس، اعتبارًا من آثار مزَّقت بها أمواج الخديعة قلوبهم؛ حتى صار لهم شكل آخر وهندام مغاير ولغة متبدلة بحسب ما ترسَّب لديهم من خيبة أمل ممَّن قاطعوهم عن عمد؛ رغبةً في الإنقاص من قيمة ما تحمله عقولهم من فهم نادر وفكر نيِّـــر.

تابعتُ خطى هؤلاء الغرباء –وما هم كذلك لدى عوامِّ الناس– لأنَّه لا أحد يعرف ماضيهم ولا آلامهم، ولكن الأصفياء من الناس يستأنسون بمجالسهم وحديثهم، فيلتفُّ حولهم الصغير والكبير من أعمار العارفين. إنَّها إرادة الله في ألاَّ يبقى هؤلاء النجباء غرباء طوال العمر حتى لا تفترَّ عزيمة الإبداع فيهم فيغيب الحلم ويغيب الأمل..

حتى أنا اشتقت لمحادثتهم، وبالفعل حصل، فكانوا لا يذكرون لأحد آلامهم ولا يستعرضون سِيَـــرًا ممَّن أسالوا دماء الجراح عمدا فيهم، فكانوا يُغيرِّون الحديث إلى حديث آخر؛ حتى لا يغتاب من تنكَّروا لهم، لكني كنت أفهم وأدرك هذا التستُّـــر، فكان أن استوعبتُ أنَّ العظماء لا يكبرون بكثرة الإنجاز وإنما بطيب الخُلُق في كظم الغيظ ومجاهدة النفس في ألا تجرَّ أصحابها إلى هاوية الفشل في أداء الرسالة الآدمية لاستمرار المنهج المحمدي وَفْق سُنَّة مباركة، فتكون بذلك الخسارة خسارتين؛ خَسارة أجر الصبر، وخَسارة أجر الاحتساب.

ما شاء الله على طاقات فاعلة مثل هذه! ما شاء الله على نماذجَ تبني ولا تهدم! ما شاء الله على هامات تُـــخلِّـــد أسماءها بتوقيع أناملها في أنَّها لا تتغيَّـــر ولا تتصنَّع ولا تُقلِّد الغير! ما شاء الله على شخصيات خالدة، وستبقى كذلك ما دامت هناك نوايا طيِّبة وإرادات قويَّة في أن تغلق منافذ الشيطان من كل صوب حتى تنتصر الانتصار الأعظم...

ما أروعها من عقول تزن الفعل قبل أن ينطلق من أياديها! ما أثقلها من كفاءات ناضجة لا تنفعل لأدنى تصرف ولا تأتي بالمِثْل بل تصفح وتسامح! ما أجملها من نفوس تقيَّة تشتكي إلى الله ولا تشتكي إلى البشر، وفي يقينها ألف تأكيد أنَّ الله هو المفرِّج.

تبقى شخصيات مستخفية بظلِّها ما دامت حيَّة، وحينما تموت تدخل التاريخ من أوسع أبوابه بعد أن دخلت الدنيا من أضيق أبوابها بالزهد والقناعة؛ لتتحوَّل إلى شخصيَّات خالدة يُـــخلِّـــدها القلم والتاريخ واللسان والشواهد...



مجلة ثقافية رقمية فصلية تُعنى باللغة العربية

تصدرها مؤسسة **ثورة اللغة** للبحوث والتدريب والخدمات اللغوية

يسعدنا تلقّي ملاحظاتكم وإسهاماتكم على بريد المجلة:

majallataareeb@gmail.com



